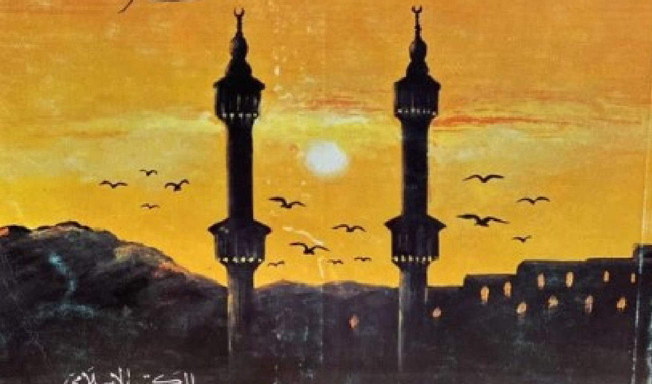
عدنان النحوي

موكب النور

شعر



المكتب الإسلامي

موكب النور

شعر

عدنان النحوي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
بيروت

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

الإهداء

إلى القلوب المؤمنة الواثبة ...
لتجعل من كل كلمة قوة ...
ومن كل وثبة نصراً ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

لا تزال الأمم تبحث عن أسباب قوتها ، تضرب في باطن الأرض وتخترق أجواء السماء ، تبحث هنا وهناك عن الثروة والكنوز ، وتجمع القوة والنفوذ . وهي بذلك تسعى لعلوّ الشأن وامتداد السلطان ، ليس لها من هدف أبعد ولا قصد أعلى .

إلا أمة الإسلام . . . ! إلا أمة الإسلام التي امتدت في التاريخ مع أول دعوة للحق وأول رسالة من السماء . امتدت في التاريخ ولا تزال ماضية معه أمة وسطاً ليكون الرسول شهيداً عليها وتكون شهيدة على الناس . لا تحصرها أرض خانقة أو قومية جاهلية ، وإنما مُدَّت لها الأرض وبُسِطَتْ لها الدنيا ، لتحمل معها أنبل هدف وأعلى قصد وأبعد غاية . فأما الغاية فهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى فهو غايتها ، وأما القصد فهو العبودية لله ربّ العالمين ، عبودية لله ربّ العالمين تعلو وتسمو حتى تحقق العزّة والنصر وإعلاء كلمة الحق .

ألا إنها أمة العقيدة . . . !

وتنطلق هذه الأمة مع هذه الغايات والأهداف تجمع كذلك أسباب القوة ومصادر المنعة ، تجمعها كلها جمعاً أوسع وأبعد ، وأقوى وأشد فلا تقف عند مجرد علوّ الشأن أو امتداد السلطان أو زخارف المجد .

وإذا كانت سائر الأمم قد جعلت من الأدب قوة عظيمة مع سائر القوى وسلاحاً حاداً مع سائر الأسلحة ، فأمة الإسلام أحق بذلك وأجدر . فأدبها ينبع من عقيدة ويصدر عن إيمان حتى يصبح قوة تدافع وتنافح وتدعو وتكافح.

ولكم دوّى الشعر - شعر العقيدة والإيمان - بين يدي رسول الله صلىّ الله عليه وسلم في الميادين وساحات القتال . فجعل الرسول صلىّ الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت رضي الله عنه في المسجد منبراً يقوم عليه ينافح عن رسول الله صلىّ الله عليه وسلم . ويقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرة القضاء حين أنشد عبدالله بن رواحة رضي الله عنه شعراً : خلِّ عنه يا عُمَرُ فَلَهِيَ أسْرَع فيهم من نضح النبل . ولكم أحبَّ أن يسمعَ رسول الله صلىّ الله عليه وسلم شعر أمية بن الصلت . . . !

هذا هو شعر العقيدة والإيمان ، وأدب العقيدة والإيمان . إنه أدب وقوة ، وسلاح ونبل . إنه شيء آخر يختلف عن غيره من ألوان الشعر ، يختلف في منطلقه وهدفه ، ونغمته وجرسه ، وصياغته وروحه. إنه شعر متصل بحقيقة الحياة ، ممتد مع امتداد الكون ، متسع مع اتساعه . إنه ينبع من الإيمان وينطلق في آفاق الحياة ليكون مع كل نبضة خشوعاً ، ومع كل دفعة يقيناً . إنه يتصل مع الحياة اتصال تناسق وانسجام ، ويرتبط ارتباط قوّة والتحام . إن معدنه الحق وكلمته الصدق .

فمن خفقة تسبيح وخشوع ، إلى رعشة دعاء وابتهال . ومن نظرة في آفاق الخير والجمال ، إلى دفعة صادقة في ميادين القتال . ومن سياسة وفكر إلى بشريات ونصر .

إنه رعشة الفرح ودمعة الحزن .

إنه لهفة الشوق ورقة الحنان .

إنه قوة الجهاد وثبات اليقين .

إنه نفحة الإيمان وعَبَق الصدق .

إنه متعة الطهارة وزينة العزة .

إنه شعر العقيدة والإيمان . . . ! يلمس جوانب الحياة لمسة الطهر والنظافة ، ويطرق أبوابها طرق القوة والثبات ، ويجول في شتى نواحيها جولات الحق واليقين .

شتان بين لمسته ولمسة سواه ، وطرقته وطرقة سواه ، وجولته وجولة سواه .

يطوف في الكون بين الأرض والسماء ، فيرى الآيات البينات بين الخير والجمال حتى يخشع وينيب . وغيره ينظر فلا يرى . . .

ينظر إلى الأزاهير والورود ، فيرى الخلق وهو يتجدد ، حتى يخبت ويؤوب ويسبح ويتوب .وغيره ينظر فيرى لهو المتعة فيستكبر . . .

يرى المرأة فيرى طهرَ جمالها ، وجمالَ طهرها . يرى كرامة عونها وأُنْس عِشرتها وأَمْنَ سَكَنِها ، حتى يحمد ويشكر . ويرى غيره الجنس الملوّث بالأوحال ، والشهوة المدّماة بالجريمة ، والرغبة القاتلة للفطرة . . .

يرى أهله وأقرباءه ، وصحبه وجيرانه فإذا هم قربى ورحم ، وصلة وإحسان . ويرى غيره عصبيةً مريضة ، وكبراً مميتاً ، وفساداً وتقطيعاً . . .

يرى أرضه وداره فإذا هي منبت خير ، وحمى عقيدة ، وميدان جهاد وتاريخ أمة فيهبها ماله وجهده وروحه في سبيل الله يحمي عرضاً ويصُون حوضاً . ويرى غيرُه الوطن منبت مصالح ، وحمى تجارة ، وميدان لهو فإن وهبه شيئاً وهبه في سبيل الشيطان . . .

يعيش مع الناس ، مع أفراحهم وآلامهم يدعو وينصح ، ويواسي ويعين ويبذل ويجود . ويعيش غيره تحت شعارات تُطْوَى في غمرات اللهو ، ورايات تنزل في أسواق النهمة والمساومة . فشعر العقيدة كلمة حق ودعوة صدق . وسواه دغدغة عواطف وإثارة نوازع . . .

فشتان ما بين لمسة ولمسة ، وجولة وجولة . . .

ومهما حاولت الأمم أن تبحث عن مصادر القوة ، أو أن تشحذ من أسلحة ، أو أن تطور من مدافع ، أو تصنع من قنابل ، مهما حاولت هذا أو ذاك فستظل الكلمة أمضى سلاح وأصدق قوة ، ستظل أسرعَ من نضح النبل . . . وستظل كلمة الحق هي الأمضى . . . وستظل هي الأقوى . . .

وشعر العقيدة والإيمان قوة من قوى الكلمة ، له مضاؤها ونفاذها . وأمة الإسلام أحق أن ترعى أدبها ـ أدب العقيدة ـ وأن تصون قوتها ـ قوة الحق .

عدنان النحوي
١٣٩٩/٢/٣
١٩٧٩/١/١



جَوْلَة

رُدَّ السُّيُوفَ إلى الأَغْـمَادِ وٱنْتَظِرِ
مـا ينقـلُ « التَّـلُّ » مِنْ هَوْلٍ ومِـنْ خبَرِ
هُناكَ . . . دُنْيَا الْـمُـرُوءَاتِ الَّتِـي ٱنْتَفَضَتْ
عَلَيْكَ فِي وَثْبَـةٍ وَهَّاجَـةِ الظَّفَرِ
جَرَحْـتَ أَطْـرَافَ لِـينٍ مِنْ إبَاءَتِهَا
فِي لَـمْـحَةٍ مِنْ أَنَـاةِ الصَّبْـرِ والحَذَرِ
وكلإِبَـاءَةِ لِـينٌ وَهْـيَ شَامِخَةٌ
على رَعَـادِيدَ مَـالُوْا أَوْ عَلَى غُدُرِ [١]
حَتَّـى انْـجَلَى صَبْرُهَـا عَنْ وَمْضٍ مُـحْرِقَةٍ
مِـنَ الصَّوَاعِـقِ أَوْ خَطْفٍ مِنَ الشَّرَرِ
وَعُـدْتَ هَرْوَلَـةً حَيرَانَ مُنْكَمِشًا
تلـوذُ فِي عَثَـرَاتِ الـذُّلِّ والصِّغَرِ
يَا « ابْنَ الْـكَتَائِبِ » . . ! وَيْلٌ مِنْ مُـجَالَدَةٍ
تَرُومُهَـا ! فَانْظُـرِ الأحْـداثَ واعْتَبِرِ

---

(١) جمع غَدُور وهو كثير الغدر .

رُدَّ السُّيُوفَ عَلَى أَثْلامِهَــا طُوِيَتْ
إنْ لَمْ يَعُــدْ لِـحَيَاءٍ فِيْكَ مِنْ أَثَرِ
هِيَ المُرُوءَةُ ! خَـجْلَى!. . . كُلَّـمَا نَظَرَتْ
إِلَيْكَ أَغْضَــتْ بِطَــرْفٍ عَنْــكَ مُنْكَسِرِ
هِيَ الرُّجُولَـةُ غَضْبَــى ! . . . كُلَّـمَا التَفَتَتْ
إِلَيْكَ مَالَــتْ بِعَـيْنِ السُّخْــطِ والكَدَرِ
فلاَ السُّيُوفُ الَّتِــي جَدَّدْتَ مُنْجِيَةً
ولَا الوُجُــوهُ الَّتِــي أَخْفَيْتَ بِالْـعُذُرِ (٢)
مَضَى بِأَقْنِعَــةٍ خَرْسَــاءَ مُسْتَتِرًا
خَلْفَ الصَّــلِيبِ غَرِيبَ الوَجْــهِ والصُّوَرِ
أزِحْ صَلِيبَــكَ . . . ! نَنْظُــرْ أيَّ مُقْتَحِمٍ
عَلَى الحِمَــى ، أَوْ دَعِــيٍّ كاذِبٍ أَشِرِ
مَا بَــيْنَ كُفْرٍ صَرِيحٍ فِي عَدَاوَتِهِ
وَبَيْــنَ دَسٍّ على الأَدْيَانِ مُعْتَكِرِ

* * * *

« مُـخَيَّمَ التَّــلِّ » كَمْ وَشَّيْتَ ناحِيَةً
وَكَمْ نَثَــرْتَ عَلَى الأَطْــلَالِ مِنْ زَهَرِ

(٢) جمع عَذِير وهو النَّصير .

تَنَفَّسَ الصُّبْحُ وَالآمَالُ زَاهِرَةٌ
تَفَتَّحَتْ عَنْ شَبَابٍ زَاهِرٍ عَطِرِ
رَعَيْتَهُ زَمَنًا في ظِلٍّ حَانِيَةٍ
مِنَ الضُّلُوعِ وَشَوْق بِالْمُنَى خَضِرِ
غَذَوْتَهُ مِنْ لِبَانِ الحَقِّ مكرُمَةً
هَدْيَ الحَنِيفَةِ في قَلْبٍ وَفي بَصَرِ
نَمَا . . . ! فَكَانَ الفَتَى ! أَنْظَارُهُ عَلِقَتْ
هُنَاكَ . . . بالْكَرْمِ ، بِالسَّاحَاتِ ، بالنَّهَرِ
بِزَقْزَقَاتٍ عَلَى الأَغْصَانِ لاغِيَةٍ
بِجَدْوَلٍ ضَاحِكٍ بِالْوَرْدِ مُؤْتَزِرِ
بِسَاحَةِ المَسْجِدِ الأَقْصَى ورابِيَةٍ
وَمُرْتَقَى مُعْشِبٍ مِنْهَا وَمُنْحَدَرِ
بِالْوَحْيِ ، بِالنُّورِ ، بِالتَّارِيخِ مِنْ حِقَبٍ
زَخَّارَةٍ بِعَطَاءِ الحَقِّ ، بِالسِّيَرِ
يَهُزُّهُ الشَّوْقُ والتحنانُ مُضْطَرِبًا
إلى حَنَانٍ وَشَوْق في الرُّبَا نَضِرِ
هُنَاكَ . . . تَخْتَصِرُ الأَزْمَانَ نَظْرَتُهُ
وَتَلْتَقِي عُصُرُ التَّارِيخِ بِالْعُصُرِ
هُنَاكَ . . . أَنْظَارُهُ ظَلَّتْ مُعَلَّقَةً
يُقَلِّبُ الطَّرْفَ في دُنْيَا مِنَ الذِّكَرِ

وَظَهْــرُهُ لِذَوِي قُرْبَــاهُ مُنْكَشِفٌ
على مَواثِيقَ أَغْنَتْــهُ عَنِ الْـحَذَرِ
حَتَّـــى دَوَتْ خَلْفَــهُ أَصْــدَاءُ نَازِلَةٍ
وَأَطْبَقَــتْ حَوْلَــهُ مَـحْمُومَــةُ النُذُرِ
هَزَّتْــهُ وَانْتَزَعَتْــهُ فَاسْتَــدَارَ لَهَا
مُسْــتَبْشِرًا بِقَضَــاءِ اللهِ والْـقَدَرِ
نَادَتْــهُ رَابِيَةٌ مِنْ خَلْفِ رَابِيَةٍ
لِمَ الْـتِفَاتُكَ الْـغَـضْبـى. . .؟إلى خطَـرِ. .
غداً سَأَلْقَــاكَ في بُشْرَى مُعَطَّرَةٍ
مِــن الشَّهَــادَةِ أَوْ فِي زَهْــو مُنْتَصِرِ
وعْــدًا مِنَ اللهِ إِحْــدَى الحُسْنَــيَيْنِ لَنَا
ووعْده الحقّ . . .!جَدّ الأمرِ . . . !فَانْتَظِرِي . .
وهــبَّ مِنْ خَــيْمَــةٍ مُلْتَاعَــةٍ وَمَضَى
لِخندقٍ فِي حَنَــايا الــدَّارِ مُصْطَبِرِ

* * * *

تَفَــجَّــرَ الحِــقْــدُ أَهْــوَالاً مُدَمِّرَةً
تَـمُــورُ أَحْشَاؤُهَـا مَوْراً عَلَىَ سُعُرِ
تُلْقِــي بِهِ حِـمَماً سوداءَ قَاتِمَةً
وَتَنْجَلِي عَنْ لَظًــى فِي الــدَّارِ مُسْتَعِرِ

يَطْـوِي النَّهَـارَ لَيَالٍ مِنْ دَوَاكِنِها
وَمِـنْ سَوَادٍ عَلَى الآفَـاقِ مُنْتَشِرِ
وأَطْبَقَـتْ لُـجَجُ الأَحْقَـادِ وَانْتَشَرَتْ
تُقِيمُ حَوْلَكَ مِنْ سُوْرٍ وَمِـنْ جُدُرِ
وَمَـا دَرَتْ أَنَّ عِنْـدَ اللهِ كاشِفَةً
لِـكُلِّ مُنْغَلِـقٍ مِنْ كَيْدِهَـا القَذِرِ

* * * *

صَبَـرْتَ فِي خَنْـدَقٍ دَامٍ تَشُـقُّ بِهِ
دَرْبًـا عَلَى صِدْقٍ للهِ أَوْ صَبْرِ
أَراعَـكَ الطِّفْـلُ لَمْ تَدْفَـعْ براءتُـهُ
ولا ابْتِسَامَتُـهُ وحْشًـا مِنَ البَشَرَ
جَرَى لِيَلْقَـاهُ مُغْتَـرّاً بِطَلْعَتِهِ
يَظُنُّـهُ جَارَهُ لِلمَـأْزَقِ الخَـطِرِ
« عَـمَّاهُ » مَا لَمَسَـتْ أَطْـرافَ مَرْحَـمَةَ
ولا حنـايا قريبٍ أَوْ أَخِـي حَضَرِ
فَـحَـزَّهُ وَرَمـى الأَشْـلاَءَ وَاخْتَلَطَتْ
مَـعَ ابْتِسَامَتِـهِ أَصْـدَاءُ مُـحْتَضِرِ
أَمِ الصَّبَـايَا إِذَا هَبَّتْ أَوْ ابْـتَدَرَتْ
عَـزائِماً فِي ظِلاَلِ الحُسْـنِ والخَفَرِ

تَصُـوغُ مَنْ حَلَبَـاتِ الْـمَجْـدِ حلْيَتَهَا
وَتَنْتَقِـي للياليهَـا مِنَ الدُّرَرِ
ضَفَائِـرُ الغـارِ مَالَـتْ فِي تَـمَوُّجهَا
عَلَى المَيَادِينِ ظِلاًّ غَـيْـرَ مُـنْحَسرِ
حَنَّـتْ لَـهَـا خَطَـراتُ الغيدِ وَاضْطَرَبَتْ
لِـذَكْرِ أَمْـجَادِهَـا خَفَّاقَـةُ الأُزُرِ
أَمِّ الثـكَالَى وَقَـدْ أَلْقَـتْ عَلَى غُصَصٍ
أَفْلاذَهَـا فَتَلَقَّـتْ غُصَّـةَ الْـخَبَرِ
أَمِّ الْيَتَامَـى عَلَى حَدِّ الظبـا انْتَشَرَتْ
أَشْلاؤُهَـا قِطَعًـا مَوْصُولَـةَ الصُّوَرِ
صبْرًا فَتَى « التَّلِّ »! كَمْ أَطْبَقْتَ مِنْ هُدُبٍ
عَلَى شَهِـيِّ الْـمُنَـى فِي دَرْبِـكَ الوَعِرِ
حَتَّـى جَلَـوْتَ عَلَى الْمِيدَانِ صُوْرَتَهَا
نَـدِيَّةَ الـذِّكْرِ أَوْ مُـخْضَلَّـةَ العُمُـرِ

* * * *

كتائِـبَ الغَـدْرِ ! لا روِّيْتِ حَاقِدَةً
مِـنَ النُّفُـوسِ وَلاَأَشْبَعْـتِ مِنْ نَظَرِ
أَمَامَـكِ « التَّـلُّ » رَوِّي من مشاهِدِهِ
طَرْفًـا يَعُـدْ خَاسِئًـا بِالعَـارِ والكَدَرِ

ظَنَنْتِـهِ هَيِّنًـا لانَـتْ مَسَارِبُهُ
فَارْتَـدَّ كَالطَّـوْدِ يَرْوِي آيةَ العِبَرِ
كَمْ جَوْلَـةٍ حَشَـدَتْ فِيهَـا ظُنُونُهُمُ
هَـوْلاً مِنَ الْـكِبْـرِ عَادَتْ عَوْدَ مُنْدَحِرِ
تَـجَرَّعُـوا حَسَرَاتٍ مِنْـكَ قَاتِلَةً
وَلَوَّعَتْهُـمْ لَيَالِي النَّـحْسِ والنَّـكَدِ

* * * *

صَفَائِـحَ الزِّنْـكِ ! كَمْ أَفْنَيْتِ قُنْبُلَةً
وكَمْ أَبَيْتِ عَلَىَ الأَحْـدَاثِ والغِيَرِ
نَشَرْتِ مِنْ ظِلِّكِ الْـمُمْتَـدِّ أَجْـنِحَةً
تَضُـمُّ شَارِدَةَ الآمَـالِ وَالأُثُرِ
شبابُكِ الصَّيْدِ أَغْـنَتْهُـمْ خِيَامُهُمُ
عَـنِ القُصُـورِ وعَـنِ لَـهْـوٍ وَعَـنْ سَمَرِ
تَطَلَّعُـوا . . . فاشْرَأَبَّـتْ مِنْ تَطَلُّعِهِمْ
إلى العُـلا أَنْـجُـمٌ مَشْدُوهَـةُ النَّظَرِ
رَأَتْ عُلاَهَـا تَدَنَّـى عَنْهُـمُ وَمَضَوْا
إلى عُلاً مُشْرِقٍ بالنُّـورِ مُزْدَهِرِ
هُنَـاكَ . . . ! فُتِّحَـت الجَنَّـاتُ وَائْتَلَقَتْ
لَـهُـمْ مَقَاعِـدُ مِنْ نُورٍ وَمِـنْ زَهَرِ

فَأَقبلُوا لِنَعِيمِ الخُلْدِ صَادِقَةً
نُفُوسُهُمْ زُمَراً مَوْصُولَةُ الزُّمَرِ
مِنَ الأُلى صَدَرُوا عَنْ فِطْرَةٍ وَمَضَوْا
عَلَى هُدَى اللهِ مِنْ آيٍ وَمِنْ سُوَرِ
عَلَى مَدَى الدَّهْرِ كَمْ جَالَتْ مَوَاكِبُهُمْ
مَضْفُورَةَ الغَارِ أَوْ وَهَّاجَةَ الغُرَرِ
مَوَاكِبَ الحَقِّ ! جُوزِي كُلَّ ضَائِقَةٍ
وَرَجِّعِي زَهْوَ مَجْدٍ غيرِ مُنْدَثِرِ
لا تحزَنَنَّكِ أَرْحَامٌ إِذَا قُطِعَتْ
حِيناً وَصَيَّرَتِ الآسَادَ كالهِرَرِ
لم يَحْفَظُوا العَهْدَ فَارْتَدَّتْ عَوَاقِبُهُمْ
إلى مَزَالِقَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ حُفَرِ

* * * *

تَجُرُّ في وحْشَةِ الظَّلْمَاءِ ذِلَّتَهَا
عَلَى صَدَى نَازِفٍ مِنْ جُرْحِهَا الغَبِرِ (٣)
نَهَضْتَ يا « تَلُّ » فَانْفَضَّ الظَّلامُ عَلَى
كَوَاكِبٍ نَثَرَتْهَا هَالَةُ القَمَرِ

(٣) الجرح الذي لا يزال ينتفض .

قَالُــوْا سَقَطْــتَ أَوِ اسْتَسْلَمْــتَ مَا صَدَقُوا
وأَنْــتَ لُؤْلُــؤَةُ الأَمْـجَــادِ والظَّفَرِ
نِلْــتَ الَّــذِي رُمْتَــهُ ، بَلْ جُزْتَــهُ شَرَفًا
عَلَى عُلُــوٍّ الــذي تَرْجُــو مِنَ القَدَرِ
وَبَــاءَ غَـيرُكَ . . . ! لَمْ يَـظْفَــرْ بِمَكْرُمَةٍ
تَـخَطَّفَـتْــهُ الدَّنَــايَا خَطْفَ مُـهْتَصِرِ
هَوَى وَخَلَّفَ أَشْــلاءً مُـمَزَّقَةً
مِــنَ الْمُرُوءَةِ بَـيْـنَ النَّــابِ والظُفُرِ
يَـهْوِي فَـتَـعْلُو ، يستَخْذِي فَتَنْهَضُ مِنْ
عُــلاً عَلَى وَثَبَــاتٍ للعُــلاَ حُمُرِ

* * * *

وآهــاً عَلَى أُمَّــةِ الإِسْــلاَمِ صَـيَّرَها
حُــبُّ الحَيَاةِ غُثَــاءَ السَّيْلِ والنَّـهَرِ
مَالُــوْا إلى عَرَضِ الــدُّنْيَا وَخُضرَتِها
وَأَدْبَـــرُوا عَنْ جِهَادٍ مُوْرِقٍ خَضِرِ
مُدَّتْ لَهُــمْ بُسُــطُ الــدُّنْيَا مُرَفَّـهَةً
عَلَى فِرَاشٍ نَدِيٍّ الــطِّيْبِ والسُّتُرِ
وأَسلَمُــوا لَلْعِــدَى أَعْنَاقَهُــمْ ذُلُلاً
عَلَى شِفَــارٍ تُدَمِّــي رَعْشَــةَ الخَـوَرِ

يا أُمَّـةً عَرْبَدَتْ أَهْواؤُهَا فَـجَـرَتْ
عَلَى أَعَاصِيرِهَـا مَـجْنُونَـةُ السَّـكَرِ
مَاتَـتْ بِهِـمْ هِمَـمُ الأَبْطَـالِ وانْطَلَقَتْ
عَلَى السُّرَى هِمَـمُ الأَشْبَـاهِ وَالصُّوَرِ
رَمَـتْ بِهِـمْ عَنْ سُرُوجِ العِـزِّ أَحْصِنَةٌ
ومَرَّغَتْهُـم عَلَى الأَوْحَـالِ والعَفَرِ

* * * *

مَسَارِحَ الشَّرْقِ . . . ! كَمْ أَخْرَجْت داميَةً
مِـنَ المَآسِي وكَمْ مَوَّهْـتِ مِنْ خَبَرِ
تَحَرَّكَتْ خَلْفَـكِ الأَشْبَـاحُ صَامِتَةً
وَأَنْطَقَـتْ « بَبَغَـاوَاتٍ » مِنَ البَشَرِ
وَحَـرَّكَتْ مِنْ دُمًـى لانَـتْ عَلَى يَدِهَا
وَدُونَهَـا الشَّعْـبُ فِي تِيهٍ وَفِي خَدَرِ
مُصَفِّقـاً لِبُطُـولاتٍ مُزَيَّفَةٍ
بِـكُلِّ لَوْنٍ مِنَ الأَلْـوَانِ مُبْتَكَرِ

١٣٩٧

١٩٧٧

هذه الأمة المسلمة ، حين غلب عليها الجهل والهوى ، وضعف إيمانها ، تاهت في مسالك شتى . فكأنها رجل أخذته الدروب وضيعته الوديان والنجود ، بين ظلمة حالكة ، وعواصف مدمّرة ، وهجير قاسٍ ، تخدعه الأماني الكاذبة ، والنعيم الزائل . فضاعت من بين يديه كنوزه ، وكذبته أحلامه . . . حتى أضناه المسير ، فسقط إعياء وضياعاً ، وغفا جفنه ، وانطوت أحلامه وغلبه اليأس . . . ولكنّ أمجاده تدعوه لينهض ، ونداء الحق يدعوه إلى الصراط المستقيم .

التّائهونَ

لَمَّكَ اللَّيْلُ بَعْدَ طُولِ شَتَاتٍ
واسْتَرَاحَتْ عَلَى الرِّمَالِ الخُدُودُ !
وغَفَا الجُفْنُ ! وانْطَوَى الأُفـ
ـقُ الواسِعُ والشَّوْقُ والهَوَى والجُدُودُ
وَاستَرَاحَتْ عَلَى الرُّبى قِطَعُ اللَّيْـ
ـلِ حَدِيثاً يَطْوِي صَدَاهُ البيدُ
وَاكَبَتْ خَطْوَكَ المُدَمَّى فأَهْوى
بِكَ وَادٍ وَغَيَّبَتْكَ النُّجُودُ

كَلّـتِ الخُـطْـوَةُ المُـدَمّـاةُ بالشَّوْ
كِ وَعضَّـتْ علَىَ يَدَيْكَ القُيُودُ

مُـغْلَـقَ القَلْـبِ ! تَائِـهَ العين ! أَعْيَـتْـ
ـكَ دُرُوبٌ وحـيرةٌ وشُرُودُ

الطَّـرِيقُ الطَّـوِيلُ تَـخْنُقُـهُ الأَنَّـ
ـةُ والدمـعُ والأَسَى المَـمْدُودُ

ظُلُمَاتٌ تَمُـوجُ فِي ظُلُمَاتٍ
وفَيافٍ تُطْـوَى وَقَـرٌّ شَدِيدُ

يَرْجِـعُ الطَـرْفُ تَائِهـاً ، قَانـيَ القَرْ
حِ ، حَسِـيراً أَضَرَّهُ التَّسْهِيـدُ

والـرِّيَاحُ السَـوْدَاءُ تَقْتَلِـعُ الأر
ضَ فَتهْوِي ذُرًى وقَصْرٌ مَشيدُ

تَدْفَـعُ العـارضَ المدَمّـرَ إِعْصَا
راً فتـــدوي صَوَاعِـقٌ ورُعُـودُ

والفـؤادُ المَقْرُورُ يَـخْطُفُـهُ الذُّعْ
ـرُ فَتَهْـوي به الليالي السّـودُ

* * * *

والهَجِيرُ الدَّامِي عَلَى كَبِدٍ ظَمْأَ
ى وَفَيْحٌ مِنَ اللَّهِيبِ شَدِيدُ
يَعْصِرُ الأَنْفُسَ العِطَاشَ فتحني
هامَةَ الذُّلِّ مِنْ لَظَاهُ العَبِيدُ
يَنْشُدُ الأُفْقَ ! فالهوانُ رُكَامُ
دُونَهُ والصِّغَارُ مِنْهُ سُدُودُ
تتلوّى بِكَ الدُّرُوبُ ويَمْضِي
في متاهاته الهَوَى العربيدُ

* * * *

والشياطين في النفوسِ أَمَانٍ
كاذباتٌ وفتنةٌ ووعودُ
عُمُرٌ ضَيَّعَتْهُ حُلْو الأماني
خُلَّبُ البَرْقِ والسرّابُ البعيدُ
زُخرُفٌ يملأُ العيون ودنيا
أَزْهَرَتْ عِنْدَهَا وَرَفَّتْ وُرُودُ
والرُّبَا ! والقصورُ ! والنَّهرُ الجا
ري ! وظِلٌّ على الضِّفَافِ وعِيْدُ !
والفِراشُ الوثيرُ ! والنَّغمُ الصاّ
خِبُ ! واللَّيْلُ ! والهَوَى المنشودُ !

عَالَــمٌ نَاعِــمٌ رَخــيٌّ الأماني
مُـخْمَلِيُّ الألــوان ! دِفءٌ وجــودُ !

شَهَـواتُ الفجــور ! عَرْبَدَةُ المَـخْمُــو
ـورِ ! والكـأسُ والــرفيقُ الــودودُ !

عَصَفَـتْ بالــرُّؤوسِ عاصفــةُ الــخـمْـ
ـرِ ، وَجَـفْــنٌ وَهَـمْسَــةٌ وَقُدُودُ

ماتَ فيهــا الحياءُ والشَّرَفُ الدَّا
مــي ، وماتَــتْ رجــولـةٌ وعهُودُ

يكشف الصبــحُ عن بَقيَّةِ إنسا
نٍ تَردَّى بِهِ المكانُ البعيـدُ

وحطــامٍ مِنَ المروءَةِ مُلْقًى
وعبيدٍ بكَتْ عَلَيْهَــا العبيـدُ

* * * *

كُنْــتَ في غفْــوَةٍ ! فَذَلَّ بِكَ الأهْــ
ــلُ ، وضاعَــتْ منــازِلٌ وحُدُودُ

أَسْلَمَــتْ نَفْسُــكَ الرَّخِيصَــةُ كنْزًا
غَــالِياً لم تصُنْــهُ مِنْــكَ الجُهُودُ

واستبــاحَ العِــدَى حمــاكَ ! وداسو
كَ ! ومَــرّتْ عَلَى الحطــام قُرُودُ

لَوَّثُــوا الأَرْضَ والهَــوَاءَ وَضَاعَتْ
مِــنْ يَدَيْكَ المُنَـــى وَتِلْكَ الوُعُودُ
صَوَّحَ الـرَّوْضُ ! فالزُّهــورُ التـي عطْ
طَرَت الأمسَ جَفَّ مِنهَــا العُودُ
وَشَهِـيٌّ الألــوانِ ، والنَّسْمَــةُ الحُلْ
وَةُ ، والمَـرْجُ ، والرُّبَـى والنجودُ
وهــديلُ الحمامِ غَابَ وراءَ الأُفْــ
ـقِ يَطْــوِي أَحْزَانَــهُ وَيُعِيْدُ
والعَصَافِــيرُ ! أَيْنَ أَعْشَاشُهَــا الخض
رُ وَغُصْــنٌ وَظِلُّهُ المَمْدُودُ
عَانَقَــتْ فَـجْرَهَــا الأَخِــيرَ وَغَابَتْ
وَصَدَاهــا عَلَى الزَّمَــانِ جَدِيدُ
سَقَطَــتْ دَمْعَــةٌ ! فَرَوّى بِهَــا الفَـجْـ
ـرُ حَنَــايَا وَلاَنَ مِنْهَـا الحَدِيــدُ
حَسرَاتُ النُّــزُوحِ ، والجَـدْوَلُ المُلْ
تاعُ أَلحانُــهُ نِــداءٌ بَعِيــدُ
رَجَّعَـتْهَــا الآفَــاقُ والشَّـجَــرُ الوا
رِفُ والــدَّارُ: « في غدٍ سَنَعُــودُ » !

* * * *

وَضِفَـافٌ كَانَـتْ تَـمُـوجُ مَعَ النُّوْ
رِ وكَانَـتْ بالمَكْرُمَـاتِ تَـجُودُ
بَدَّلَ المكْرُ مِنْ مَلامِحِهَـا السُّمْـ
ـرِ وَمِـنْ بِشْرِهَـا الأَسَى المشهـودُ
أَيْنَ إِشْرَاقَـةُ الإِبَـاءِ وَزَهْـوُ الحَـ
ـقِّ والغـارُ حَوْلَـهُ مَعْقُـودُ
والدُّنـا خَفْقَـةُ الأَمَانـي لديها
إِنْ رَنَـا الطَّـرْفُ أَوْ تَلَفَّـتَ جِيدُ
لَفَتَـاتُ الإِيمَـان نُوْرُ دُرُوب
والقِـلاَعُ الشَّمَّاءُ تِلْكَ الزُّنُودُ

* * * *

كُنْـتَ فِي سكْرَةِ الغِـوَايَةِ ، في التِّيـ
ـهِ ! وهـذا الضِّيَاعُ والتَّشْرِيـدُ
قد أَحَاطَـتْ بِكَ الخَطَـايَا وأَلقَى
بِـكَ شَيْطَانُهَـا العَتِـيّ المَرِيـدُ
كُلُّ أَوْثَانِـكَ التـي كنْـتَ تَجْثُو
عِنْدَهَـا ضَارِعًـا وَتِلْكَ الحُشُودُ
والقرابـينُ ، وارتعاشـةُ ذُلٍّ
ودُمُـوعُ الـرَّجَاءِ والتَّرْدِيـدُ

قُمْ إلى المَـجْـدِ ! لا تَدَعْ هَذهِ الدَّارَ
عَلَى الـذُّلِّ ! فَـما هَواهَـا القُـعُودُ
الرِّمـالُ الحَـمْـرَاءُ أَصْـدَاءُ وَحْيٍ
والرَّوَابِـي الخَـضْرَاءُ مَـجْـدٌ تَلِيـدُ
لَمْ تَزَلْ في رُبَـاكَ مِئْـذَنَـةُ الحقْ
ق وَمَـا زَالَ في رُبُوعِـكِ صِيـدُ
والميادينُ لَمْ تَزَلْ تَهِـبُ العُمْ
رَ شَـهِيدٌ يَـمْضِي إِلَـيْـهِ شَهِيدُ
قُمْ وعَانِـقْ عَلَى آنتِفَاضَتِهَـا المَجْ
ـد يُـعَـانِـقْ جِـرَاحَـكَ التَّـضْـمِيـدُ
ونِـدَاءٌ له على الأُفُـقِ المُغْـ
تَرِّ قَـرْعٌ وفي الرُّبـى تَـرْدِيـدُ
نَـفَحـاتُ السَّماَءِ أَنْـدَاءُ وَحْيٍ
فَـجَّـرَتْهَـا عَلَىَ الشِّفَـاهِ كُبُـودُ

❊ ❊ ❊ ❊

سيعـودُ الحَـمَامُ يَلْتَقِـطُ الحَبْـ
ـبَ وَيَـلْـقَـاهُ سَاحُـهُ الغِـرِّيـدُ
وَيَـعُـودُ العُـصْفُـورُ ، زَقْزَقَـةُ الفَـجْرِ
تُـنَـادِيـهِ ، والهَـزَارُ السَّعِيـدُ

هَـمَسَاتُ الحقول ، وَشْوَشَـةُ الدَّوْ
ح نَـدِيُّ الثِّمَارِ والـعُـنْـقُودُ
والتَقَتْ دَمْعَتَان . . . ! في موكب الفجر
قَصِيدٌ مُرَجَّعٌ وَنَشِيـدُ

* * * *

حُلُـمٌ مَـرَّ والأَمَانـي تَوَلَّـتْ
وإذا الحـقُّ بعدَهُـنَّ خُلُـودُ. . .!
فَالشَّقِـيُّ الَّـذِي تَوَلَّى شَقِيٌّ
والسَّـعِيدُ الَّـذِي أَنَـابَ سَعِيدُ
فَنَعِيمٌ لِـلْـمُـحْسِنِـينَ مُقِيمٌ
وعَـذَابٌ للمُـجْـرِمِـينَ شَـدِيـدُ

* * * *

١٣٩٧/١١/٨
١٩٧٧/١١/٢٠

كنتُ نظمتُ المقاطع الأولى بحدود عام ١٩٤٧ حين غادر الكلية العربية بالقدس أحد الزملاء إلى بيروت . ثم عدت إلى هذه الأبيات مؤخراً عام ١٩٧٨ فأتممتها على ضوء الأحداث التي كانت تمر بها قضية فلسطين .

رُبـا الأقْصَى

رُوَيْدكَ . . . ! قُمْ وَقَاسِمْنَـا الأَنِيْنَا
هَلُـمَّ وَدَعْ جَهَالَـةَ جَاهِلِينَا
وَدَعْ عَنْـكَ الغِـوايَةَ وَاطَّرِحْها
وَدَعْ فِتَنًـا أَثَـرْنَ بِكَ الفُتُونَـا
فَمـاَ خَـبَـرُ الـكواعِـبِ والغَـوَانِي
إِذَا مِلْنَ الشِّمَالَ أَوِ اليَمِينَـا
تَقُــولُ لِعَاتِــبٍ : « مَهْــلاً فَإِنِّي
أُصَــارِعُ تَارَةً وَأَلِــينُ حِينًا »
« وَكَمْ مِنْ نَاهِــدٍ حَوْلِي تَرَاهَا
تَــوَدُّ لَوِ اسْتَطَاعَــتْ أَنْ تُعِينَـا »

شِبَاكٌ ما لهنَّ يَدٌ عَلَيْهَا
سِهَامٌ لَمْ يكُنَّ المُطْلقِينَا
سَرَحْنَ مَعَ الحَيَاةِ شِبَاكَ صَيْدٍ
وَمِلْنَ فَكُنَّ سَهْماً رِيْشَ فِيْنَا

* * * *

فَيَا بَيرُوتُ . . . مَوْحى الشِّعْرِ . . غَنِّيْ
هَوَاهُ ولَهْوَهُ نَغَماً حَزِيْنا
تَرَكْتِ لَهُ عِنَانَ اللَّهْوِ رَخْوًا
يَتِيْهُ عَلَى عَوَاصِفِهِ جُنُونَا
فَتَطْوِيهِ كَمَا يَطْوِيْ خِضَمٌّ
إِذَا اضْطَرَبَ العُبَابُ بِهِ سَفِيْنَا
ظِلاَلَ الأَرْزِ قُصِّيْ عَنْ هَوَاهُ
وَعَنْ خَبَرِ الغَوَانِي حَدِّثِيْنَا
يَمِيْلُ عَنِ الدُّرُوسِ وَيَزْدَرِيهَا
وَيَرْغَبُ جَاهِدًا أَنْ لاَ تكُونَا
إِذَا ذَكَرُوا الكتابَ يَقُوْلُ : « عَنّي »
فَإِنْ ذَكَرُوا المَلاَهِيَ قَالَ : « جِينَا »

* * * *

أَتَـذْكُرُ كَيْفَ كُنْـتَ أسيرَ سِجْنٍ
يُبَعْثِـرُ رَبُّـهُ فِيهِ العُيُوْنَـا
كَسَّرتَ قُيُودَهُـمْ وعَبِثْتَ فِيهَا
وَبِتْنَـا فِي السُّجُـونَ مُقَيَّدِينَا
نَدُقُّ جِدَارَهَـا دَقًّـا لِنَمْضِيْ
لِمُعْتَـرَكِ الشَّبَّـابِ المُؤْمِنِيْنَا
هُنَـالِكَ أَحْكَمُـوا قَيْدًا عَلَيْنَا
وَرَدُّوا حَوْلَ صَرْخَتِنَـا السُّجُونَا
مَعَاهِدُ لَـمْ تَقُـمْ إِلاَّ لِتَبْنِيْ
شَبَـابَ عَقِيْدَةٍ مُتَوَثِّبِيْنَـا
إِذَا مَا الـدَّارُ مَزَّقَـهَـا ذِئَابٌ
وَأَضْحَـتْ نُـهْبَـةً لِلنَّاهِـبِيْنَـا
فَـمَا تَغْفُـو عُيُونٌ عَـنْ حِـمَاهَا
ولاَ تَرْضَى عَلَى الهَيْجَاءِ هُوْنَا
ولَـوْلاَ « الانتـداب » جَثَـا عَلَيْنَا
وَخُلْفٌ مَزَّقَ المتَخَاصِمِيْنَـا
لَـمَا عَضَّـتْ قُيُودُهُـمْ عَلَيْنَـا
ولاَ حَوَتِ السُّجُـونُ بِهَـا سَجِيْنَا

❊ ❊ ❊ ❊

رُوَيْدَكَ .... دَعْ هَوَى دَعْـــدٍ وَهِنْدٍ
وَهُـــبَّ وأَنْــجِــدِ الــطَّلَلَ الحَزِيْنَا

وَدَاراً بَارَكَ الرَّحْمَـــنُ فِيْــهَا
تَــمُـــدُّ بِفَيْضِ رَحْمَتِـــهِ السِّنِيْنَا

رُبَــا الأَقْصَى فَدَيْتُــكِ مِنْ جِراحٍ
حَـمَلْــتِ عَلَى الزَّمــان بِهَــا الشُّجُونَا

مَرَابِـــعُ كُــلَّمَا مَرَّتْ عَلَـيْـهَا
عُصُـــورٌ طَأْطَــأَتْ وَحَنَــتْ جَبِيْنَا

وَأَلْقَـــتْ فِي رَوَابِيْهَـــا غِرَاسًا
وَرَوّتْ سَهْلَهَـــا وَسَقَـــتْ حُزُوْنَـا

فَــتَـحْـمِــلُ مِنْ دَمِ الشُّهَــدَاءِ مِسْكًا
وَتَنْشُرُ مِنْ ظِلاَلِ الوَحْـــيِ دِيْنا

****

وَقَفْـــتِ عَلَى رُبُـــوعِ الشَّرْقِ بَابًا
يَصُـــدُّ عَنِ الرُّبُــوعِ الْـمُـعْتَدِيْنَـا

حِمًـــى لِلْحَـقِّ والإِيْمَـــانِ تَبْنِي
بِبَـــذْلِكِ دُونَــهُ حِصْنًـــا حَصِيْنَا

شَمَخْـــتِ عَلَى الـــرَّزَايَا فَاسْتَذَلَّتْ
أَمَامَــكِ زَهْـوَةُ الْـمُتَـكَبِّرِيْنَا

تَظَــلُّ يَدُ الشُّعُــوبِ تَدُقُّ فيهِ
لِتَفْتَــحَ دُونَــهُ فَـتْقًـا مُهِيْنَـا
وَتَـخْــرِقَ مِنْ دِيَارِ الحَــقِّ خَرْقًا
يُـمَـزِّقُ شَمْلَهَـا مَزْقًا وَهُوْنا
فَتَنْهَــبَ مِنْــهُ خَـيراتٍ حِسَانًا
ووِدْيَانًــا جَرَيْنَ هَوًى ولِيْنَا
وَأَفْيَاءً حَـمَلْنَ بِهَـا ثِـمَاراً
مُبَــارَكَةً وَفِضْــنَ بِـهَـا عُيُونـا
وَتَارِيخًــا يَفُضُّ بِرَاحَتَيْهِ
لآلِىءَ تَنْشُرُ الوَهْــجَ الْـمُبِيْنَا
وَأَمْـجَــادَ النُّبُوَّةِ زاهِيَاتٍ
يَصِــلْنَ عَلَىَ مَرَابِعِهَــا القُرُوْنَا

❊ ❊ ❊ ❊

فوا عَجَبــاً إِذَا اخْتَلَفَــتْ شُعُوبٌ
إِلَيْكِ وَلَــمْ تَجِـدْ فِيْكِ القرينا
أَلَيْسَ هُنَــاكَ فِيْ السَّاحَــاتِ صِيْدٌ
إِذَا انْتَفَضُــوا مَضَــوْا مُتَعَطِّشِيْنَا
جُنُــوْدُ مُـحَـمَّــدٍ سَتَهُــبُّ تُوفِيْ
بِعَهْــدٍ صَادِقٍ للهِ فِيْنَـا

إذَا وَثَبُــوا إلى العَلْيَاءِ شَقُّــوْا
بِــوَمْضِ نِصَالِهِــمْ سُحُبًــا وَجُوْنَا
أَزَاحُوْهَــا عَلَىَ سُرُجِ الضَّحَايَا
تَعُــوْدُ بِنُــورِ وَفْدَتِهَــا البَنِيْنَــا

❋ ❋ ❋ ❋

رُبَــا الأَقْصَى طُيُوفُــكِ ذِكْرَيَاتٌ
خَشَعْــتُ أَمَامَهَــا دَمْعًــا هَتُونًا
خَشَعْــتُ وَقَلْبِــيَ الوَثَّــابُ فيهَا
يُدَمِّــي في تَلَفُّتِــهِ الْـحَنِيْنَا
مَدَدْتُ يَدِي عَلَىَ حُلُمِـي لأَلْقَى
مُـحَيَّاكِ المُنَـوَّرَ والجَبِيْنَا
رَجَعْــتُ وَمِنْــكِ في كَفِّــيَّ دَمْعٌ
وَفِيْ أُذُنَــيَّ أَسْتَــرِقُ الأَنِيْنَا

❋ ❋ ❋

وَأُصْغِــي عَلَّ أَصْــدَاءَ اللَّيَالِي
تُعِيدُ خُطَــى سَرَاةِ الأَوَّلِيْنَا
مُضَمَّــخَــةً عَلَىَ طِيْبٍ مُنَدَّى
يَذُوبُ عَلَيْهِ نَفْـحُ الْـمُرْسَلِيْنَا

وأُصْغِي . . . ! فالضجيجُ عَلاَ وأَدْمَى
لَهَاةَ الضَّائعِينَ الحائرِيْنَا
ضَجِيجُ الجَاهِلِينَ إِذَا اسْتُذِلُّوا
وَأَهْوَاءُ العُتَاةِ الظَّالِمِيْنَا
طَغَى فَوْقَ الأَمَانِي واسْتَبَاحَتْ
حَنَاجِرُهُ المَحَارِمَ وَالعَرِيْنَا
عَلَى صَيْحَاتِهِ خَدَرٌ وَتِيْهُ
تُبَحُّ بِهِ حُلُوقُ الهَاتِفِيْنَا
يَمُوتُ بهَا صَدَى حُلُمِي وَيَبْقَى
عَلَى الأَشْلاَءِ هَمْسُ الصَّابِرِيْنَا
سَيَنْفَجِرُ الصَّدَى يَوْماً وَيَطْوِي
عَلَى أَمْوَاجِهِ المتَجَبِّرِيْنَا
وَيَنْحَسِرُ الضَّجِيجُ عَلَى سِنانٍ
رَجَعْنَ عَلَى تَلاَحُمِهَا الرَّنِيْنَا
تَرَى الفُرْسَانَ فِي المَيْدَان خُرْسًا
سِوى زَنْدٍ يَسُوقُ بهَا المَنُونَا
وتَكْبِيْرٍ عَلَى الأَفْوَاهِ يُنْدِيْ
عَلَى فَرَحَاتِهَا النَّصْرَ المُبِيْنَا
هُنَالِكَ تَخْشَعُ الدُّنْيَا وتُصْغِي
لآيَاتٍ بِسَاحَتِهَا تُلِيْنَا

رُبَـا الأَقْصَى ، فَدَيْتُـكِ ، أَيُّ طَيْفٍ
أَلَـمَّ ولَـمْ يكُنْ طَيْفًـا حَنُونَا
خُطَا مُوسَى عَلَى ثَبَجِ الصَّحَارَى
تَشُـقُّ عَنِ الرِّمَـالِ هَوىً دَفِينا
هَوَىً تَتَفَتَّـحُ الأَكْمَامُ مِنْهُ
وَتَنْفَحُ مِنْ بَشَائِـرِهِ اليَقِيْنَا
دُعَـاءَ أَبِيْهِ إِبْـرَاهِيمَ بُشْرَى
يُرَجِّـعُ مِنْ صَدَاهَـا المُرْسَلُونَا
تَفُضُّ عَلَى شُفُـوْفِ الغَيْبِ مَسْرَى
لأَحْـمَـدَ يَأْخُـذُ العَـهْـدَ الأَمِيْنَا

❋ ❋ ❋ ❋

يَؤُمُّهُـمُ بِسَاحِـكِ ثُـمَّ يَـمْضِي
يَشُـقُّ بُرَاقُـهُ سَقْفًـا مَتِيْنَـا
دَنَـا شَوْقًـا فَماجَ مَطَـافُ نُوْرٍ
يَرِقُّ بِهِ خُشُـوعُ الخَاشِعِيْنَـا
وَفُتِّحَـتِ الغُيُوبُ لِنَاظِرِيْهِ
وآيَاتٌ جَرَتْ دُنْيَا وَدِيْنَـا

❋ ❋ ❋ ❋

خُطَا مُوسَى عَلَى الصَّحْـرَاءِ لَجَّتْ
وَحَـرَّكَتِ اللَّـواعِـجَ وَالْحَنِيْنَـا

هَوَى الإِسْـلَامِ لِلأَقْصَى نَدِيّ
فَطِيبِـي وَانْعَـمِـي صَحْـرَاءَ سِيْنَا
فَهَـبَّ بِقَوْمِـهِ مُوْسَى وَنَادَى
فَأَجْفَـلَ دُونَـهُ المُتَقَاعِسُونَا
وَقَالُـوا إِنَّ جَبَّـارِيْنَ فِيهَـا
وَإِنَّـا حَيْثُ تَنْظُـرُ قَاعِدُونَا

فَأَنْـتَ وَرَبُّـكَ الجَبَّـارُ قُومَا
إِلَيهِـم واقْـحَمَا السَّـاحَ الحَصِيْنَا

فَإِمَّـا يَـخْرُجُـوْنَ عَلَى سَلَامٍ
فَنَدْخُـلُ عِنْـدَ ذَلِكَ آمِنِيْنَا

هُنَـالِكَ مُزِّقُـوا مِزَقًـا وَتَاهُوا
عَلَى عِصْيَانِهِـمْ ذُلًّا مُهِيْنَا

أَبَـتْ سَاحَاتُـكَ الجُبَنَـاءَ دَوْمًا
وَتَـأْبَـى المُجْرِمِـينَ الظَّالِمِيْنَا

سَتَلْفُظُهُـمْ إِذَا فَسَقُـوْا وَهَانُوا
وَتَطْحَنُهُـمْ إِذَا كَفَـرُوا طَحِيْنَا

نَدَاكِ يَظَـلُّ للإِسْـلاَمِ مَغْنَى
وَعِطْـرُكِ ظَلَّ نَفْـحَ المُؤْمِنِيْنَا

* * * *

أَلَسْـتِ عَلَى هُدَى الإِسْـلاَمِ نَايًا
يُرَجِّـعُ فِيكِ آيَاتٍ وَدِيْنَا
عَلَى مِزْمَـارِ دَاوُدَ اللَّيَالِيْ
يَـمُـوجُ خُشُوعُـهَـا رَهَبًـا ولِيْنَا
وتَـجْـرِيْ مِنْ « سُـلَيْمَانَ » الغوَالِي
بَيَانَ نُبُـوَّةٍ قَطَـعَ الظُّنُونَا
تَمُـرُّ يَدُ « المسيح » على الرَّوَابي
لِتَمْسَـحَ مِنْـكِ جَرْحَـكِ وَالجُـفُوْنَا
جَـمَـعْـتِ بِسَيِّدِ الرُّسُـلِ الأماني
وَبِالْـقُـرآنِ ذِكْراً مُسْتَبِيْنَا
وَشَعَّـتْ كُلُّ رَابِيَةٍ وَفَضَّت
عَلَى لأْلاَئِهَـا الْـكَـنْـزَ الثَّـمِـيْنَا
أُولَئِـكَ لَيْسَ مِنْ نَسَـبٍ إِلَيْهِمْ
وَلاَ رَحِـمٍ يَشُـدُّ المُـدَّعِيْنَا
سِوَى الإِسْـلاَمِ آصِرَةً وَقُرْبَى
يُوَثِّـقُ مِنْ عُرَاهَـا المُؤْمِنُوْنَا

فَوَا عَـجَـبًـا لِـمَــنْ مُسِخُــوا قُرُودًا
جَــزَاءَ الْـكَافِــرِيْنَ الْمُـعْـتَدِيْـنَا
وَمَــنْ عَبَــدُوا عَلَىَ الأَهْــوَاءِ عِـجْلاً
عَلَىَ دَنَسِ الضَّلاَلَــةِ مُبْلِسِيْنَا
فَثَمَّ عَـمُـواً وَصَـمُّــوا وَاسْتَـحَـلّوا
دِمَــاءَ الأَنْبِيَاءِ الْمُقْسِطِيْنَا
وَمَــا تَرَكُوا عَلَىَ الأَيَّامِ شَرًّا
وَمَــا حَفِظُــوا لِعَهْدِهِــمُ يَمِيْنَا
أَيَزْعَــمُ هَؤُلاَءِ إِلَيْكِ قُرْبَى
رُبَــا الأَقْصَى . . . ! بَرِئْــتِ وَطِبْتِ دِيْنَا
وَطِبْــتِ رُبًــا وَسَاحَــاتٍ وَدَاراً
وأَنْسَامــاً جَرَيْنَ هَوًى ولِيْنَا
وَشُطْآنــاً نَثَــرْنَ عَلَىَ يَدَيْهَا
لآلِئَهَــا وَزَيَّنَّ الجَبِيْنَا
وَوِدْيَانًــا جَـمَـعْـنَ لَهَــا عُقُودًا
وَفَتَّقْــنَ الشَّــذَى والياسمِيْنَا
كَأَنَّ عَلَىَ مَبَاسِمِهَــا دُعَاءً
وَتُغْضِي ، فِيْ تَبَتُّلِهَــا الجُفُوْنَا
إِلَهِــي . . . أَيْنَ ابنائــي وَقَوْمِيْ
وَمَــنْ رَفَعُــوا عَلَىَ شَرَفٍ حُصُونَا

مَشَاعِلُهَـــا مِنَ الإِيْـمَانِ وَقْـدٌ
أَضَـــاؤُوا دُونَـهَـــا الـــدَّرْبَ الأَمِيْنَا
سَأَنْتَظِـــرُ اللَّيَالِي لاَ أُبَالِي
لأَلْقَـــى فِيْهِـــمُ النَّـصْرَ المُبِيْنَـا
يَظَـلُّ صَدًى مِنَ الإِسْرَاءِ عَهْدًا
يحَـــرِّكُ بَـيْـنَ أَضْلُعِـــي الحَـنِيْنَا

* * * *

١٩٧٨

خَوَّفوه من الأحداث والنوائب وأغـروه بالزخـرف وعـرض الدنيا فسار في موكب النور ، فذهب خوفه ، واطمأنّت نفسـه ، ورضي قلبه .

مَوكبُ النور

رَوِّعِيْــهِ مَا شِئْــتِ أَوْ فَدَعِيْهِ
لَــمْ يَزَلْ مُـمْـسِــكًا بِـحَـبْــلٍ مَتِيْنِ
مَا قَسَــا قَلْـبُـهُ وَلَــكِنْ لَدَيْهِ
دَمْعَــةٌ لَمْ تَـجِفَّ بَيْــنَ الجُفُونِ
خِشْيَةٌ فِي الفُــؤَادِ تَعْصُـرُ دَمْعًا
ذَوَّبَتْــهُ عَلَىَ مَطَــافِ الحَـنِيْـنِ
رَقَّ فِي خِشْيَةٍ ففاضت عَلَيْه
رَحْـمَـةُ اللهِ فِي حِـمًــى مَأْمُونِ

❊ ❊ ❊ ❊

عَـجَـبًــا أَنْ تَرَى مَعَ الخَـوْفِ أَمْـنًا
وَمَــعَ اللَّيْلِ شُعْلَــةً مِنْ يَقِينْ

وَعَلى الشَّوْكِ نَفْحَةً مِنْ نَدَى الصُّبْـ
ـحِ وَمِنْ رِقَّةٍ عَلَيْهِ ولِيْنِ
وَعَلى غَبْرَةِ الشِّفَاهِ ابْتِسَامًا
وَعَلى قَرْحِهِ رِضَاءَ العُيُونِ
وَعَلى الجُرْحِ رَفْرَفَاتِ نَسِيمٍ
ذَوَّبَتْ في نَدَاهُ رَجْعَ الأَنِينْ
ذَاكَ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي صَحَّ مِنْهُ
قَلْبُهُ أَوْ مَضَى بِعَزْمٍ أَمِينْ

* * * *

كُلَّمَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَطَوَاهُ
أَشْرَقَتْ مِنْهُ لَفْتَةٌ مِنْ جَبِينْ
أَوْ أَحَاطَتْ بِهِ المُلِمَّاتُ يَوْمًا
وَثَبَتَ مِنْهُ عَزْمَةٌ مِنْ دِيْنِ
وَانْتَضَى نَصْلَهُ ، فَأَهْوَى ، فَوَلَّتْ
مُدْبِرَاتٍ مُجَلْجِلاَتُ القُرُونِ
وَتَنَاءَتْ وَرَاءَهُ قِطَعٌ اللَّيْـ
ـلِ وَغَابَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ ظُنُوْنِ
وَتَخَطَّى الذُّرَى وَنَادَى رُوَيْداً
أَقْبِلِي يَا صِعَابُ أَوْ لاَ تَكُونِي

دَرْبِيَ الحَـقُّ . . . ! حَـيْـثُـمَا سِرْتُ أَلْقَى
قَبَسًــا شَعَّ أَوْ هُدًى بِيَمِينِي
مَا حَنَّيْتُ الجَبِـيـنْ إِلاَّ رُكُوعًا
وَسُجُــوداً للهِ فَـهْـوَ يَقِينِي

❊ ❊ ❊ ❊

فِي خُشُــوعِ الدُّجَــى عَرَفْتُــكَ يَا رَبْ
بُ ، وَفِيْ نَـجْمِــهِ ، وَفَيْضِ السُّكُوْنِ
جَلَّ فِي صَمْتِــهِ فَـكَانَ بَيَانًا
فِي قُلُــوبٍ وَعَتْــهُ أَوْ فِي جُفُونِ
هَدَأَ النَّــاسُ . . . غَـيْـرَ قَـلْــبٍ شَجِيٍّ
هَــبَّ مِنْ لَـهْفَــةٍ وَشَــوْقٍ دَفِين
مَدَّ كَفَّيْهِ فِي حَنَــايَا اللَّيَالِي
رَعَشَــاتٍ مُبَلَّــلاَتِ الحَـنِينْ
وَهَبَــتْ لِلنُّجُــومِ رَعْشَــةَ شَوْقٍ
وَأَعَــارَتْ لَهَــا انْفِــلاَتَ الشُّجُونِ
فِيْ شُعَــاعٍ يَمُــوجُ بَـيْـنَ ثَنـايا
هُ رَفِيفٌ مِنَ الدُّعَــاءِ الحَزِيْنِ

❊ ❊ ❊ ❊

أَيُّهَا النَّجْمُ مَنْ رَعَاكَ عَلَى الأُفْ
قِ وألقَاكَ فِي مَسَارٍ مَلِينْ
فَلَكٌ . . . ! كَمْ جَرَيْتَ فِيهِ لِتَمْضِي
سَابِحًا فِي دَقَائِقِ التَّكْوِينِ
أَيْنَ تَمْضِي . . . ! وَأَنْتَ تَسْجُدُ لِلـ
ـهِ خُشُوعًا عَلَى هُدَاهُ المُبِين
كَمْ مَضَى. . . !كَمْ تُرَاهُ بَعْدُ تبقَّى. . . !
أَيْنَ يا نَجْمُ مُسْتَقَرُّ السَّفِينْ
قَدَرٌ غَالِبٌ مِنَ اللهِ يُمْضى
بِهُدَاهُ دَقَائِقًا مِنْ شُئُوْنِ

* * * *

كَمْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَرَوا فِيكَ إِلاَّ
صَخْرَةً أَظْلَمَتْ وَكُتْلَةَ طِينِ
سَرَقُوا مِنْكَ نُوْرَكَ المُتَلأْلى
سَرَقُوا رَعْشَةً وَخَفْقَ حَنِين
سَرَقُوا دَعْوَةً وَهَمْسَ صَلاَة
سَرَقُوا مِنْكَ كُلَّ شَيْءٍ ثَمينْ
سَرَقُوا نَبْضَةَ الحَيَاةِ ، أماتو
هَا عَلَى ظُلْمَةٍ وَمَوجٍ فُتُوْنِ

سرَقُوهَا مِنَ النُّفُوسِ ، مِنَ القَلْـ
ـبِ ، ومِنْ فِطْرَةٍ ونُورِ عيُونِ

سرَقُوهَا مِنَ الضّيَاءِ وَرَاحُوْا
دَفَنُوْهَا في ظُلْمَةٍ مِنْ سُجُونِ
أيُّ تِيهٍ يَلُفُّهُمْ وَضَلاَلٍ
أيُّ كِبْرٍ مِنَ الهَوَى مَجْنُونِ
أيُّ كِبْرٍ أَذَلُّ مِنْ كِبْرِ كَفَّا
رٍ وَأَشْقَى مِنْ مكْرِهِ المَفْتُونِ

❋ ❋ ❋ ❋

وأفَاقَتْ مِنْ غَفْوَةِ الوَهْمِ أحْلاَ
مٌ عَلَى رَفْرَفَاتِ فَجْرٍ مُبينْ
موكبَ النُّورِ في مَطافِ جَمَالٍ
وَجَلالٍ عَلَى مَرَابِعَ غِيْنِ
مَوْكِبَ النُّورِ . . . ! أيُّ طَيْفٍ نَدِي
مُشْرِقٍ فيهِ ، أيُّ ظِلٍّ حَنُونِ
تَفْتَحُ الزَّهْرَةُ النَّدِيَّةِ جَفْنَيْـ
ـها دُعَاءً بِيَوْمِهَا المَيْمُوْنِ

❋ ❋ ❋ ❋

أَيُّهَا الزَّهْرُ مَنْ حَبَاكَ وَمَنْ أَعْطَا
كَ مِنْ نَفْحِهِ الشَّذَا وَمِنْ تَلْوِينِ
زُرْقَةٌ مِنْ رَوَائِعِ الأُفْقِ مَاجَتْ
وَاحْمِرَارٌ مُضَمَّخُ التَّكْوِينْ
واصْفِرارٌ كَأَنَّهُ رِقَّةُ الشَّوْ
قِ وَمِنْ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ ثَمِينْ
واخْضِرارٌ يَمُوجُ بَيْنَ طُيُوفٍ
وَرَفِيفٌ مِنْ جَدْوَلٍ وَعُيُون

****

يَا مُرُوجَ الرُّبَا ... ! تُنَادِيكِ أَعْمَا
قٌ وَيَدْعُوكِ عَبْقَرِيُّ الْفُنُون
مَزَجَتْ سِحْرَكَ الْمُمَوَّجَ ، أَلْقَتْ
ـهُ هُنَا ... ،أَوْ هُنَاكَ... ، فوق الغُصُون
بَيْنَ وَادٍ، عَلَى الضِّفَافِ الحَوَانِي ،
فِي الثَّنَايَا ، فِي التِّينِ والزَّيْتُونَ
فِي عُرُوقٍ غَنِيَّةٍ ، فِي وُرُودٍ ،
فِي أَقَاحٍ هُنَاكَ أَوْ نِسْرِيْنَ
لَمَسَتْ رَعْشَةَ الهَوَى ثُمَّ ذَابَتْ
فِي صَبَايَا مِنَ الكَوَاعِبِ عِينْ

****

أيُّ لَوْنٍ مِنَ الخَيَال تَلَقَّا
هُ بوَادٍ مُرَفْرِفٍ وَحُزُون
وَطُيُورٍ عَلَى الأفانِينِ أَلْحَا
نٌ وَرَجْعٌ مِنَ الصَّدَى والرَّنِيْن
كُلُّ لَحْنٍ صَدَى لخفقة لونٍ
كُلُّ قَطْرٍ صَدَى لِخَفْقِ عُيُون
هَمَسَاتُ الدُّعَاءِ للهِ تَسْبِيحٌ
وَرَجْعٌ مِنْ سِرِّهِ المَكْنُونِ

❊ ❊ ❊ ❊

أَنْتَ يَا ربِّ خَالِقَ الكَوْنِ كَمْ أَلْقَيْـ
ـتَ لِلنَّاسِ آيَةً مِنْ يَقِينْ
كُلُّ مَا تَجْتَلِي العُيُونُ عَلَيْه
هُوَ مِنْ خَفْقَةٍ لِماءٍ وَطِينِ
صَاغَهَا اللهُ نَفْحَةً وَحَبَاهَا
نَسْمَةً مِنْ هَدًى وَفَيْضِ مَعِينْ
سَاجِدَاتٍ للهِ فِي مَوْكِبِ النُّوْ
رِ خُشُوعًا وَرِقَّةً مِنْ حَنِينِ

❊ ❊ ❊ ❊

١٣٩٨/٥/١٨
١٩٧٨/ /٢٧

مِن قصيدة

طَوَى اللَّيْلُ آفَاقَ الفيَافي وأَرْعَدَتْ
عَلَيْهِ ذِئَابٌ دَامِيَاتُ الأَظَافِر
تُمَزِّقُ أَحْشَاءَ الضَّحَايَا بنابِها
وَتَطْوِي بَقَايَا شِلْوِهَا المُتَنَاثِر
وتطْحنُ مَا بَيْنَ الضّروس أنينها
وَتَخْنُقُ حَسْرَات الأَسَى والمَشَاعر
هُوَ اللَّيْلُ . . . ! أَشْبَاحُ الرَّزَايَا تَنَاثَرَتْ
عَلَيْه وَأَطْيَافُ الجدودِ العَوَاثِر
فَمَا أَوْمَضَتْ فِيهِ بَوَارِقُ صَارم
وَلاَ زَمْجَرَتْ فِيْهِ حَمِيَّةُ ثائِرِ
وَلاَ انْتَفَضَتْ دُونَ الدِّيَار كُمَاتُها
وَلاَ وَثَبَتْ فَوْقَ السُّرُوج الضَّوَامِر
وَلاَ نَهَضَتْ مِنْ وَهْدَةَ الذُّلِّ كَبْوَةٌ
وَلاَ نَفَضَتْ عَنْهَا غُبَارَ الحَفَائِر

❊ ❊ ❊ ❊

فَيَا حسرتاه كيفَ لَمْ يُشْفِقِ النَّهْيُ
عَلَىَ شَرَفٍ دامٍ وَعِــرص حَرَائِرِ

عَلَىَ القُدْس . . . ! جلبَابُ الظَّـلام يلُفها
وأَمْـجَادُهَـا منثورة كَالـجوَاهِرِ

عَلَىَ كُلِّ شِبْــر مِنْ فلسطينَ لَمْ يكُنْ
سِــوَى نَفَـحَـات مِنْ أبــيٍّ وَصَابِرِ

سِوَى خَفَقَاتِ الوحّـي . . . ! يُنْـدي رُبُوعَهَا
وَيَسْــكُبُ من فَيْضٍ وَيَهْمِــي بِعَاطِرِ

عَلَىَ أُمَّــةٍ مَا أَخْــرَجَ اللهُ مِثْلَهَا
إلى النَّــاس أَنْــوَاراً وَطِيبَ مآثِرِ

* * * *

فَوَاأَسَفَــا أَنْ ضَيَّعَ الحَـقَّ «جَاهِلٌ»
وَمزَّقَــهُ بَـيْـنَ المدَى والخَنَاجرِ

فَأَهْـوَى بهِ «السَّفَّــاحُ» بَـيْـنَ مَدَافعٍ
تُــدَوِّي وَمَــكْرٍ مِنْ غِوَايَةِ كَافِرِ

* * * *

فَـمَاَ كَانَ إِبْــرَاهِيمُ إلاَّ مُصدِّقاً
بأَحْـمَــدَ، برًّا، عَاطِــراً بالبشائِرِ

وَرَتَّلَهَـــا دَاوُدُ نَفْـحَ نُبُوَّةٍ
وَرَجَّـعَ تَـحْنَانًـا وَخَفْــقَ مَزَامِرِ
وَصَـــانَ سُلَيْمَانُ الحَــكِيمُ أَمَانَةً
لأَحْمَـدَ يُوْفِيهَـــا نَدِيَّةَ شَاكِرِ
أُولَئِــكَ . . . مَا سَاسُـــوا الـــدِّيَارَ بِعِرْقِهِمْ
ولاَ مَلَكُوهَـــا جَاهِلِيَّةَ سَادِرِ
ولَكِنَّهَـــا كَانَــتْ صَفِـــيَّ أَمَانَةٍ
وَعَـهْـدًا يُؤَدَّى بَـعْـــدَ حِـينٍ لِقَادِرِ
وَرَفَّــتْ عَلَىَ عِيْسَى النُّبُــوَّةُ والتَقَتْ
عَلَىَ سَاحَــةِ الأَقْصَى شُفُــوفُ بَصَائِرِ
فأَمَّــهُـمُ المختــارُ أَحْـمَـدُ سَيِّدًا
لِيَـجْمَـعَ منْ مَاضٍ زَكِيٍّ وَحَاضِرِ
وَيَمْضِي عَلَىَ الأَيَّامِ دَعْــوَةَ رَبِّهِ
جِهَــادَ مَيَامِــينَ وَنَفْـحَ أَزَاهِرِ
وَتَتَّصِــلُ الأَزْمَــانُ . . . بَـيْـنَ طُيُوفِهَا
نُبُــوَّةُ إِسْـــلاَمٍ وَصِــدْقُ أَوَاصِرِ
ويُصْبِــحُ للإِسْـــلاَمِ مُلْكُ رُبُوعِهَا
وَعَهْــدًا أَمِينًـــا . لاَ يُرَدُّ لفاجر
فذلك إِرْثُ الأنبياء . . . دِيارُهُمْ
مَرَابِــعُ تَوْحِيْدٍ وَخَفْــقَ مَنَابِرِ

فَيَا أَيُّهَـا الأَقْصَى . . . ! أَنِيْنُـكَ مُوْجِعٌ
حَنِينُك أَصْـدَاءُ العُصُـور الغَوَابر

وشوقُكَ ذَوْبُ الخَـالِيَات منَ الرُّؤى
لِرَنَّـةِ أَنْصَـال ووقْعِ حَوَافِر

وَخَفْقَـةِ رَايَات وَعِـزَّةِ فَاتح
يَمُـوجُ صَدَاهَـا في دَويّ الحَنَاجر

عَصرْتَ عَنِّـيَّ الـذِّكْرَيَات بدَمْعَةٍ
عَلَى هُدُب تُغْضِي وَنَوْح سَرَائِرِ

فَيَا «عُـمَـرُ الفاروقُ» . . . أَيْنَ صَدَى الخُطَى
إلى المسْجِـدِ الأَقْصَى وإشرَاقُ زائِرِ

وَأَيْنَ طُيُوفُ المَـجْدِ حولَكَ والتُّقَى
وأنداؤُهُ رَفَّـتْ عَلَى كُلِّ زَاهِرِ

تَوَاضَعْتَ . . . مَا عَضّ الإِبـاءُ جُفُونَهُ
عَدَلْـتَ . . . فَـمَا ذَلّـتْ طُيُوفُ مَنَائِرِ

وَهَبْـتَ . . . وَمَـا ضَيَّعْـتَ حقًّـا لِخَالِقٍ
عَفَـوْتَ . . . وَفِي كَفَّيْكَ عِزَّةُ ظَافِرِ

وَجَمَّعْـتَ أَشْتَاتَ الأَمَانَـةِ كُلِّهَا
وَنَظَّـمْتَهَا عِقْدًا كَرِيْمَ الجَوَاهِرِ

❊ ❊ ❊ ❊

فَيَا أُمَّةً . . . قَصَّفْتِ في سَاحِكِ القَنَا
وَأَحْنَيْت للأَوْثَان هَامَةَ خَاسر
بعُدْت عَن الرَّحْمن فَاشْقِي وَوَلْولي
عَلَى غُصَص مَلأَى بقَيْح الجَرَائِر
ألا رَجُلٌ تَهْتَزُّ مِنْهُ إِبَاءَةٌ
وَتَغْضَبُ للرَّحْمن نَخْوَةُ بَاتِرِ
نَشِيدُكِ أَحْزَانُ المَآتِمِ فَادْمَعِي
وَمَجْدُكِ طَيَّاتُ الثَّرَى والمَقَابر

١٩٧٧

في السياسة الدولية اليوم أسواق . . . . تضطرب فيها المساومات وتهدر فيها الحقوق والمروءات وقد حملت أمتنا إلى هذه الأسواق .

أسواقٌ

أَسْعِفِيْنِي إِذَا اسْتَطَعْتِ بِشَّيءٍ
مِنْ بَيَانٍ وَوَثْبَةٍ مِنْ خَيَالِ
قَصَّرَتْ دُوْنَهَا العُقُولُ وَنَاءَتْ
بِالأَسَى تَحْتَ وَطْأَةِ الأَثْقَالِ
إِنَّهَا لَوْعَةُ الفَجِيعَةِ ، أَمْوا
جُ لَيَالٍ حُبْلَى وَرَجْفُ جِبَالِ
إِنَّهَا ذِلَّةُ الهَزِيمَةِ ، أَنْوَا
ءُ ضَيَاعٍ ، عَوَاصِفٌ مِنْ رِمَالِ
تَتَلَوَّى الآفَاقُ فِي مَهْمَهٍ دَا
جٍ بَعِيدٍ مُرَوَّعِ الآمَالِ
إِنَّهَا أُمَّةٌ تُبَاعُ بِسُوقٍ
عَفِنٍ مِنْ نِخَاسَةٍ وَاغْتِيَالِ

****

أُمَّــةٌ . . . هَا هُنَــا . . تُبَــاعُ وَتُلقــي
هَامـةَ الــذُّلِّ بَــيْنَ خَفْــق النِّعَال

كُلُّ تُـجَّــارِه نُيُوبُ ذِئَاب
وَأَظَــافِيرُ ثَـعْلَــبٍ مُـحْـتَـال

كُلُّ أَبْطَالِــهِ مَطَــايَا عَبِيْـدٍ
رَاضَهَــا السَّــوْطُ تَـحْــتَ شَدِّ الرِّحَال

المُرُوءَاتُ هَاوِيَاتٌ دَوَامِـيْ
تَـحْــتَ أَقْـدَام مُـجْـرِمٍ قَتَّـالِ

فِي زَوَايَـاهُ هَـمْسَـةُ الشَّرِّ تَسْرِيْ
وَعَلى سَاحِــهِ شُرُورُ الفِـعَــالِ

العِصَابَــاتُ ، واللُّصُـوصُ ، وإجرا
مُ وَحَـشْــدٌ مِـنَ الأَسَى والنِّكَال

سَاحَــةُ الكُفْــرِ . . . دَامِيَاتُ المَآسِي
تتنَــزَّى بِهَــا وَجَــوْرُ الضِّلاَل

جَمَعَـتْـهَــا « صهيُون » فِي غَفْلَــةِ العُـ
مْـرِ وَفِي زَهْــوَةٍ لَهَــا وَوِصَـال

جَعَلُوهَــا مُعَسْــكَرًا كَادَ يَـمْضِي
مِــنْ حَنَايَاهُ دَعْــوَةُ « الدَّجَّالِ »

رَفَعُــوا رَايَةً تَـحَــدُّوا بِهَــا اللَّـ
ـهَ وَظَنُّــوا نَـجَاتَهُــمْ فِـي الخِـتَـالِ

غرَّهُــمْ مَا رَأَوْهُ مِــنْ نِعْمَــةِ اللَّــ
ـهِ وَمَــا مَدَّهُ لَهُــمْ مِنْ حِبال
حَسِبُــوا أَنَّ مكرَهُمْ هُوَ أَبْقَى
وَرَأَوا غَــيَّهُــمْ طَويلَ المَجَال
وَيْــحَــهُــمْ . . . ! لاَ يَرَوْنَ آياً مِنَ اللَّــ
ـهِ وَحُكْماً مَعَ القُــرُون الخَوَالي
سُنَّــةُ اللهِ سَوْفَ تَــمْضِي فَيلْقَوْ
نَ بــمَا يَــكْسِبُــونَ سُوْءَ المَآلِ

❊ ❊ ❊ ❊

أَيُّ سُوْقٍ تَــمُــوجُ فِيْهِ الثَّكَالَى
والأَيَامــى وَحِــيْرَةُ الأَطْــفَال
وَضَــجِيجُ الآثام : أَنَّــةُ مَفْــجُوْ
عٍ وَرَجْــعُ النُّــوَاحِ وَالإِعْــوَالِ
وَالضَّحَــايَا مِنَ الشُّعُــوبِ قَطِيعٌ
يَتَلَــوَّى فِيْ زَحْــمَــةٍ مِنْ ثَعالــي
نَــهْــمَــةُ المَوْت أَطْلَقَــتْ مِنْ يَدَيْــهَا
وَثَبَــاتِ الوُحُــوشِ والأَدْغَالِ
فَتَرَامَتْ . . . هُنَــاكَ . . . تَثْغو على مدْ
يَةِ جَــزَّارٍ وَتَــنْحَنِــي لِنِصَــالِ

❊ ❊ ❊ ❊

أُمَّـةٌ . . . ! هَا هُنَـا تُسَـاقُ وَأَمْـجَادٌ
تُنَـادِي وَذِكْرَيَاتٌ خَـوَالِـي
حَمَلُوهَـا إِلَـيْـهِ مِنْ بَيْـنَ آما
ل وَشَـوْق وأُمْنِيَات غَوَالِيَ
نَزَعُـوْا كُلَّ حِلْيَةٍ مِنْ يَدَيْـهَا
مِـنْ جَبِـيْنْ مُرَصَّـعٍ باللآلِـي
سَرَقُـوْا كُلَّ جَوْهَـرٍ شَعَّ فِي اللَّيْـ
ـلِ ، كريْمٍ مُضَمَّـخٍ بالْـجَمَالِ
رَفَعُـوا عَنْ خُدُودِهَـا طَلْعَـةَ الوَرْ
دِ وَعَـنْ جَفْنِهَـا التِفَـاتَ الغَـزَال
نَزَعُـوْا ثَوْبَهَـا الغَنِـيَّ وَأَلْقَوْا
مِـنْ بَقَـايَا الخُـرُوق والأَسْمَالَ
حَـمَلُوهَـا . . . مِنْ أَمْسِهَـا الحُلْـوِ من دا
رٍ وَأَيْك وَرَبْـوَةٍ وَظِلاَل
مِنْ بَنِيْهَـا . . . عَلَى جُفُونِهِـمُ الدَّ
مْـعُ وَرَيٌّ التَّـارِيْخِ والأَجْيَالِ
وَعَلَى الجُـرْحِ غُصَّـةُ المَـجْـدِ تَدْمِي
بَـيْنَ ذِكْرَى وَلَهْفَـةٍ وَابْتِهَالِ
حَـمَلُوْهَـا هُنَـاكَ ثُمَّ رَمَوْها
فِيْ زَوَايَا النِّسْيَانِ والإِهْـمَالِ

سِلْعَــةً لَمْ تَـعُـدْ مَعَ الهَــوْن تَلْقَى
لَفْتَــةَ العَيْــن أَوْ هَوَى الإِقْبَال
تَتَلَهَّــى بِأَنَّــةِ المِـعْصَــم الدَّا
مِــيْ وشَـــكْوَى الرِّقَــاب للأَغْـلاَلِ

* * * *

أُمَّــةٌ .... ها هُنَــا تُبَــاعُ وَيَـمْضِي
حوْلَهَــا المَـجْـدُ وَمْضَــةً مِنْ خَـيَالِ
ذِكْرَيَاتٌ مُتَرَنِّـحَــات ... ! وَأَشْوَاقُ
حَيَارَى .... تَطَلَّعَــتْ لِلمَعَالِي
ذُوِّبَتْ كُلُّهَــا دُمُوعًــا عَلَى الجَـفْـ
ـن وَفِي الحَـلـقَ غُصَّــةً مِنْ وجَالِ
الــذَّلِيلُ الَّــذِي يَقُــودُ خُطَاهَا
بَـيْــنَ عَضّ الحَـدِيدِ والأَثْـقَالِ
يَـحْتَمِي بالظَّــلاَمِ مِنْ مَوْكِب النُّو
رِ وَمِــنْ قُدْسِــهِ وَمِــنْ إِجْلاَلِ
رَوَّعَتْــهُ الأَشْبَــاحُ فِي ظُلْمَــةِ الوَ
هْــمِ وَرَنَّــاتُ صَرْخَــةٍ وَخَبَالِ
هَلَــعٌ يَــنْـزِعُ الضُّلُــوعَ وَيَرْمِي
بِبَقَــايَا مُنْـخُــورَةٍ مِنْ خِصَالِ

لَوْ رَأَيْتَ الإِيمَـــانَ يَدْفَــعُ للحـــ
ـقِّ رجَـــالاً تَـجُــودُ مِنْ كُلِّ غَال
أَرْخَصَـــتْ أَنْفُسًـــا فَهَبَّـــتْ إِلى المَـوْ
ت وَأَغْلَـــتْ مِنَ الرَّجَـــا وَالْمَنَال
هكَذَا يُصْنَـعُ السَّــلاَمُ وَيُبْنَى
بالقَنَـــا لاَ بِزُخْــرُفِ الأَقْـوَال
بالتُّقَـــى ... باليَقِــينِ باللهِ بالدِّيْـــ
ـنِ بآيَاتِــهِ بِسَــاحِ نِــزَال
أَيُّـهَا الُمجْرِمُــونَ مَـهْمَا يَطُــلْ لَـيْـلُ
فهـذي بَوَارِقٌ مِــنْ عَـوَالِي
إِنَّ للفَـجْــرِ مَوْعِـــدًا يَطْلُعُ الأُفْـ
قُ عَلَيْهِ بِصَــادِقٍ بَـذَّالِ

❊ ❊ ❊ ❊

يَا طُيُوفَ الإِيْـمَانِ أَيْـنَ تَوَلَّيْـ
ـتَ وَخَلَّفْتَ سَاحَــةً مِنْ قِتَـالِ
المَيَادِيْنُ لَمْ تَزَلْ تَـحْمِــلُ الشَّــوْ
قَ نَدِيًّا مِنْ آيَةٍ وَبَلاَلِ
وَدَوِيُّ القُــرْآنِ فِي الأُفْــقِ الُمــرْ
بَــدِّ أَصْـــدَاءُ خَالِــدٍ وَبِلاَلِ

وَالقَنَـا يَقْرعُ القَنَـا والأَهازيْـ
ـجُ وَوَمْضُ الدِّمَـاءِ والأَنْصَالِ
والرُّبَـا حَيْثُماَ تَلَفِّـتُ تَـهْتَـ
ـزُّ شَظَـايَا اللَّهيْبِ والإِشْعَالِ
لَمْ تَزَلْ كُلُّ حَبّةٍ مِنْ ثَراهَا
خَفْقَـةَ المِسْـكِ أَوْ ذَكِيَّ الغَوَالِي
لَمْ تَـمُـتْ يَا طُيُوفَ هَذِي الميادِ
يْـنُ وَماتتْ عَزَائِـمٌ مِنْ رِجَالِ
الهَـوَانُ الـذَّلِيلُ مَوْتٌ ذَلِيلٌ
والـرَّدَى فِي الجِهَـادِ عَيْشٌ خَالِي

❊ ❊ ❊ ❊

يَا فِلَسْطِينُ . . . ! يَا رُبَـا المسجِـدِ الأَقْـ
ـصَى . . ! حَنَـانَيْك مِنْ أَسًى قَتَّـالِ
أَيْنَ غُصْـنُ الزَّيْتُـوْن يَـحْنُوْ فَأَلْقَى
عِنْـدَهُ فِي الهَجِيرِ بَرْدَ الظِّلاَلِ
أَيْنَ عِطْـرُ اللَّـيْمُـونَ يَـمْـلأُ أَمْسِي
مِـنْ شَذَاهُ. . . ! أَيْنَ أَمْسِي الخَالِي
أَيْنَ ذِكْرَى لَـمَـحْتُهَـا فِي البَسَـاتِيـ
ـنِ عَلَى نَفْحَـةٍ مِـنَ البُرْتُقَالِ

زَهْــرَةَ اللَّــوْزِ . . . ! ما شَـمَـمْتُـكِ إلاَّ
ذِكْرَيَاتٌ رَجَعْــنَ مِلءَ خيَالي
ذِكْرَيَاتُ الجُـدُودِ تَغْــرُسُ في الأَرْ
ضِ غِرَاسَ الجِهَــادِ والأَفْعَالِ
وَالــوُرُودُ الَّتِــي تَشقَّــقَ عَنْهَــا الفَـجْـ
ـرُ نَفْـحَ البُــكُورِ والآصالِ
وَاخْضِرَارُ العِيْدَانِ والــوَرَقِ الزَّا
هِــيْ عَلَىَ جَدْوَلٍ وَفَــوْقَ تِلاَلِ
والتِفَــاتُ الأَعْشَــابِ بَيْــنَ السَّواقي
والعَنَــاقِيــدُ بَيْنَهَــا وَالدَّوَالي
وَثِمَارٌ غنِيَّة وَعطَايَــا
وَغُصُــوْنٌ مَـمْــدُودَةُ الأَحْـمَالِ

❊ ❊ ❊ ❊

وَاليَنَــابِيعُ شَقَّــتِ الصَّــخْــرَ عَنْهَا
بِلُجَيْنٍ وَأَقْبَلَــتْ بِزُلاَلِ
وَالعَصَافِــيرُ بَيْــنَ أَعْشَاشِهَــا الخُـضْـ
ـرِ وَرَوْضٍ عَلَىَ صَدَاهَــا حَالي
زَهَــرَاتٌ عَلَىَ المُرُوجِ تَلَفَّـتْـ
ـنَ ، وَأَشْــكَالٌ طَلَعْــنَ مِنْ أَشْكَالِ

ذَوَّبَتْ لَوْنَهَا الجِنَانُ عَلَيْهَا
وَسَقَتْهَا مِنْ كَوْثَرٍ سلسَالِ
وَيَدُ اللهِ فَوْقَهَا بَرَكَاتٌ
مُنْزَلَاتٌ بفَيْضِهَا السَّيَّالِ
فَإِذَا أَنْتَ يَا فلسطينُ نُوْرٌ
بَيْنَ وَادٍ وَهَضْبَةٍ وقِلَالِ
شَعَّ فِي ظُلْمَةِ الدَّيَاجِيرِ يَرْوِي
بِحُرُوفٍ مِنْ نُوْرِهِ المُتَلالِي
بِحُرُوفٍ تَدُورُ فوْق رُبَاهَا
وَسَمَاءٍ وأَنْجُمٍ وَهِلالِ
وَهِيَ تَتْلُو : « اللهُ أَكْبَرُ » . . . ! أَصْغِي
وَاخْشَعِي يَا رُبَا لِهَذَا الجَلَالِ
أَنْتِ حَقُّ الإِسْلَامِ . . . لُؤْلُؤَةُ الإِيمَا
نِ دَارُ الجِهَادِ والأَمْثَالِ
أَنْتِ عَهْدٌ مَضَى لأَحْمَدَ بِالأَقْـ
ـصَى نَدِيًّا عَلَى جَدِيدِ اللَّيَالِي
وَالنُّبُوَّاتُ وَمْضَةٌ مِنْ غُيُوبٍ
شَهِدَتْهُ وَوَثَّقَتْ مِنْ حِبَالِ
أَمَّهَا أَحْمَدٌ هُنَا فَاسْتَفَاقَتْ
فِي رَوَابِيكِ غَافِيَاتُ الأَمَالِي

وَبُــرَاقٌ يَشُــقُّ بالأُفْــقِ الأَعْـ
ـلَى غُيُوبًــا وَيَرْتَقِــي لِنَوَالِ
بَيْنَ جُنْحَيْهِ رَفَّ مِنْ طَرَبِ الشَّوْ
قِ أَرِيجٌ وَفَــاحَ مِــنْ إِقْبَالِ

٢٠ / ١ / ١٣٩٩

٢٠ / ١٢ / ١٩٧٨

إلى كل مسلم أغْرَتْهُ الدنيا بِلَهْوِهَا فَـجَـرَى وراءها وَخَلَّفَ ميدان الجهاد . . . وأعداء أمة الإسلام يمكرون ويَتَربصون .

فما زالتْ لدَينا بقيَّة

رُوَيْدَكَ . . ! كَمْ هَيَّجْتَ مِنِّي أَمَانِيَا
وَرَجَّعْتَ مِنْ ذِكْرَى اللَّيَالِي لَيَالِيَا

فَنَاشَدْتُ مِنْ عَهْدِ الوِدَادِ وَصَفْوِهِ
لَعَلَّكَ تُصْغِي لِي فَمَا أَنْتَ صاغيَا

لَهَوْتَ مَعَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ حَالُهَا
فَتَسْكُبُ أَحْلاَمًا وَتَنْهَلُ سَالِيا

عَتَبْتُ . . على رُشْدٍ يَضِيعُ وَمُهْجَةٍ
تَذُوبُ وَوَهْمٍ ظَلَّ حَوْلَكَ دَاعِيَا

وَمَا كَانَ عَتْبِي غَيْرَ نُصْحِ مُؤَمِّلٍ
إِليك صَلاَحًا لا يَرُدُّ رجائِيَا

إِذَا زِدْتُ فِي نُصْحِي تَزِيْدُ ضَلاَلَةً
وَتُمْعِنُ فِي لَهْوٍ وَتُدْبِرُ جَافِيَا

فَهَــلْ رَوَتِ الأَيَّامُ مِنْــكَ صَبَابَةً
وَحُرْقَةَ نَارِ الشَّوْقِ . . . أَمْ عُدْتَ صَادِيَا . . !
وَمــا الْـعَتْــبُ إلاَّ غَايَةُ الــوُدِّ بَيْنَنَا
إِذَا أَنْــتَ لَمْ تُنْصِفْ كَتَمْــتُ عِتَابِيَا

* * * *

وَأَمَّــا حياتــي فَهْــيَ دِفْــقُ مَشَاعِرٍ
وَخَفْقَــةُ آمَــالٍ تَدُقُّ حَيَاتِيَا
فَــمَا « صَفَــدٌ » تَسْتَــلُّ هَمِّــي بِبَانِهَا
وَلاَ غِيْدُ « عكَّا » تَسْتَــطِيعُ اجْتِذَابِيَا
وَلَــكِنَّ لِيْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَرَابِعاً
إِذَا جِئْــتُ مَهْمُومًــا نَسِيتُ شَقَائِيَا
لَدَى « البَــحْرِةِ » « الزرقاء » [١] تَلْقَى مَعَالِمًا
وَتُبْصِرُ آياتٍ وَتُــحْيِي أَمَانِيَا
أَمَامَــكَ . . . ! فانظُرْ أَيَّ لَوْنٍ تشاؤه
تَمَــايَلَ أَنْجَــاداً وَصَفَّــقَ وَادِيَــا

(١) بحيرة طبريا من الرجوم في صفد .

وتَسْكُبُ فِيهِ الشَّمْسُ حلِيًا مُذَهَّبًا
فَيَنْثُرُ وردًا أَوْ يَفُضُّ أَقَاحِيَا
يَمُوجُ عَلَى شَتَّى الطُّيُوفِ أريجُهُ
فيرُجِعُهُ بَيْنَ الظِّلاَلِ أغانِيَا
إذا ما كَساهَا اللَّيْلُ مَوْجَ غِلالَةٍ
وَأَلْقَى عَلَيْهَا جَوْهَرًا وَدَرَارِيَا
يَرُدُّ غِلاَلاَتِ الدُّجَى ويُزِيْحُهَا
وَيُبْقِي عَلَيْهَا البَدْرُ مَا كَانَ غَالِيَا
ويكشف من بين الرَّوَابِي بَهَاءَهَا
ويَسْكُبُ شلاَّلاً مِنَ النُّورِ ضَافيا
هُنَالِكَ فَانْظُرْ ... حَيْثُ مَا مِلْتَ آيَةٌ
وَرَعْشَةُ تَسْبِيحٍ تَلُفُّ النَّواحِيَا

نَزَعْتَ إِلى دَارٍ تَمُوجُ بِلَهْوِهَا
فَهَلْ رفَعتْ هَماًّ على القَلْبِ جَاثِيًا ... !
هُنَالِكَ أَنْغَامُ الضَّيَاعِ تَبَعْثَرَتْ
عَلَى رَقَصَاتٍ نَازِفَاتٍ مَسَاوِيَا

نَشَـاوَى يُعَانِقْـنَ الغِـوَايةَ شَهْوَةً
وَيَسْكُبْنَهَا أَنَّـى التَفَتَّ مَـجَارِيَـا
تَعَـرَّيْنَ إلاَّ مِنْ شُفُـوفِ غلاَلَة
بَلِـيْنَ عَلَى وَهْـجِ الضُّلُـوعِ حَوَانِيَا
عَلَى ساعِـدٍ رَخْصٍ تَغِيْبُ بَلالَةٌ
وتطوي عَلَى رَفٍّ النُّهُـودِ غَوَالِيَا
وَتَضْـوِى ذُبَـالاتُ النُّهْـى بَيْـنَ هَـمْسَةٍ
وَرَعْشَـةِ شَوْقٍ تَتْـرُكُ القَلْـبَ ظَامِيَا

****

أُولَئِـكَ غَابُـوْا فِي دَيَاجِـيرِ سكْرَةٍ
وَلَـمْ تُبْـقِ لَذَّاتُ الغِـوَايَةِ صَاحِيَا
وَخَلَفَهُـمُ مَكْرُ العَـدُوِّ وَبَأْسُهُ
يُعِـدُّ إلى يَوْمِ اللِّقَـاءِ العَوَالِيَا
يَـمُـدُّ لنـا لَهْـوًا نَعُـبُّ عُبَابَهُ
وَيُـجْـرِيْ لَنَـا بَـحْـرًا ويُـجْـرِي سَوَاقِيَا
لِيَغْتَـالَ آمَـالاً ويَنْهَـبَ نَـخْوَةً
ويَطْحَـنَ عَزْمًـا أَوْ يَجُزُّ النَّواصِيَا

أُخَيَّ . . . ! ألا تَصْحُو. . . ! أتبْقَى مُـمزَّقًا
شَتِيْتًــا عَلَىَ الأَهْــوَاءِ تَلْهَــثُ جَارِيَا
تَقَــدَّمْ. . . ! فَـماَ زَالَــتْ لَدَيْنَــا بَقِيَّةٌ
مِــنَ العَــزْمِ تَسْــتَنْهِضْ عُصُــوراً خوَالِيَا
هَلُــمَّ . . . ! فَـماَ زَالَــتْ بَقِيَّةُ نَـخْوَةٍ
إِذَا عَصَفَــتْ هَزَّتْ جِبَــالاً رَوَاسِيَا
فَوَاعَجَبًــا يا دَارُ . . . كَمْ هَزَّكِ الهَوَى
وكَمْ لَجَّ فِي سَاحَاتِــكِ الشَّــوْقُ داعِيَا
أُولَئِــكَ أَنْسَــابُ البُطُولَــةِ جَرَّدُوا
عَلَىَ الــرَّوْعِ أَنْصــالاً وَشَقُّــوا الدَّوَاجِيَا
يَصُوغُهُــمُ الإِيمَانُ جَوْهَــرَ هِـمَّةٍ
وَيَنْثُرُهُــمْ بَيْــنَ اللَّيَالِي دَرَارِيَا
فَأَيُّ الرَّوابِــي لَمْ تُرَوَّ دِمَاؤُهُمْ
عَلَىَ نَفَحَــاتِ المَجْــدِ تُزْكِي مَعَالِيَا
مِنَ الصَّــينِ تَنْفَضُّ الــوُرُودُ بِعِطْرِهِمْ
إلى المَغْــرِبِ الأَقْصَى وَتُــزْكِي النَّوادِيَا

في مدينة حلب . . . دعاهُ أصحابه إلى « السبيل » وهو منتزه جميل . . . فرأى هنالك آية وعِبْرَة .

آيَـةٌ في السّبيل

هَيَّجُـوهُ بِالـذِّكْرَيَات الحَـيَارَى
وَأَثَـارُوا حَنِيْنَـهُ وَأَثَـارَا
ذِكْرَيَاتٌ مُبَعْثَـرَاتٌ مَعَ العُمْـ
ـرِ أزَاحُـوا وِشَـاحَـهَا والسِّتَارَا
ضَمَّـهَا مِنْ صِبَـاهُ جَفْـنٌ خَلِـيٌّ
كُلَّمَا حنَّ دَاعَـبَ الأَوْتَـارَا
وَدَعَـوْهُ إلى « السـبيل » فَغَنَّى
لَيْـلَـهُ وَالعَشِّي والأَسْحـارا
وَمَعَانِـي الهَـوَى عَلَى شَفَتَيْـهِ
تَائِهَـات فلَمَّهَـا أَشْعَـارا
وَعَلى جَـفْنِـهِ رُؤى غَـافِيَـاتٌ
فَأَفَاقَـتْ رِضًى ولاَنَـتْ عَذَارَى
وَالخَيَـالُ الشَّرُوْدُ مَوْجُ طُيُوفٍ
يَتَحَـرَّى مِنْ بَيْنِهَـا الأَبْكَارَا

فَتَنَاوَلْـتَ يَا « سَبَيْلُ » غِرَاسًا
مِـنْ رَؤاهُ سَقَيْتَهَـا وَثِـمارَا

وَانْتَقَيْتَ الْمُرُوجَ آفَـاقَ أَلْـحَا
ظٍ وَمِـنْ زَهْـوَةِ الصِّبَـا أَزْهَارا

لَمْ تَدَعْ وَرْدَةً عَلَى خَدٍّ حَسْنَا
ءَ وَلاَ فُـلَّـةً وَلاَ جُلَّنَارا

وَنَـدِيَّ الظِّـلاَلِ . . . ! دُنْيَا جُفُون
كَمْ أَعَارَتْـكَ هَـمْسَـةً وَسِرارَا

وَالغُصُونَ اللّدَانَ . . . رَفَّ الصَّبَايا
عَطَفَـتْ رِقَّـةً وَمَالَـتْ نِفَـارَا

وَجَـرى المَاءُ . . . ضِفَّتَـاهُ طُيُوفُ
حَمَلَـتْ مِنْـهُ فِضَّـةً ونُـضَارا

وَمَضَـتْ حَوْلَـهُ تَفُضُّ مِنَ النَّجْـ
وَى هَوَاهَـا وَهَـمْسَـةً وَحِوارَا

بُرْعُـماً زَقَّ بُرْعُماً وَصَبَايَا
نَافِـرَاتٍ مِنَ الصَّبَـايَا غَيَارَى

يَـمْرَحُ الطَّـيرُ . . . تَحْتَ كُلِّ جَناحَـيْـ
ـنِ هَـوَى حائِرُ الصَّـدَى يَـتَوارَى

النَّسِيمُ العَلِيلُ ، أَمْ خَفقَـةُ المَا
ءِ أَعَـادَتْ مِنَ الصَّـدَى أَخْبَارا

أَمْ رَفِيفُ الغُصُــونِ . . أم! أَنَّهُ الشَّوْ

قُ يَـهُزُّ الحِلِيَ وَيُـغْرِي السِّوَارَا

أيُّ لَـحْـنٍ مُرَجَّـعٍ مِنْ خَيَالٍ

لَــمْ تُرَجِّعْـهُ بُلْبُـلاً وَهِزارَا

* * * *

أيُّ مَغْنَـى تَـخْضَــلُّ مِنْـهُ اللَّيَالِي

فَضَّ أَكْمَامَــهُ وَنَظَّمَ غــارَا

أيُّ لَوْنٍ مُـخَـضَّــلٍ مِنْ جَـمَالٍ

لَــمْ يَفُضَّ السَّــبِيلُ عَنْــهُ سِتَارا

نَتَلَقَّــاهُ مَائِجًــا في شَذَاهُ

مُلْقِيًا مِنْ ظِلاَلِــهِ أَنْوَارَا

والصِّبَــا لَم تَزَلْ عَلَىَ وَجْنَتَيْهِ

حُـمْـرَةُ الشَّــوقِ خِلْسَــةً وَجِهَارَا

هي كالشمْسُ حينَ تسْبَحُ في الأُفْــ

ـقِ شُعاعاً مُـمَوَّجًــا وشَرَارَا

لاَنَ بَــينَ السِّحَــابِ وشْيًا فَلَماً

ضَمَّهَـــا ردٌّ وشْيَه زُنَّارَا

هكَذَا يَعْبَـثُ الهَــوَى عِنْــدَ خدَيْـ

ـهِ فَتَلْقَــى هُنَــاكَ نُوْراً ونَارَا

وَعلى مُقْلَتيْهِ تنتفِضُ السُّحْـ
بُ وَتَغْفُـو نَدِيَّةً وَسُكَارَى

* * * *

وانْقَضَى اللَّيْلُ حَوْلَنـا وَبقَايَا
لَـمْ تَزَلْ مِنْـهُ مُثْقَلاتٍ حَيَارَى
لَمْ تَزَلْ عِنْدَهَـا بَقِيَّةُ أَطْيَـا
فٍ تَلُـمُّ الخُطَـى وَتَطْـوِي الازَارَا
وَشَظَـايَا مِنَ الصَّـدَى وَبَقَايَا
مِـنْ رُؤى نَشْـوَةِ الصِّبَا والعَذَارَى
وَطَـوَى الفَـجْـرُ ما تَخَلَّفَ مِنْهَا
وَذيولاً تَعَثَّرَتْ وَأَوَارَا
غَابَ ذَاكَ الجَمَالُ ، لَمْ يَبْـقَ إلاَّ
اثـراً هَلْ تَرَى لَه آثَارا
أيْنَ تِلْكَ الخُدُودُ . . . ! أَيْنَ حُفُونٌ
أَيْنَ ذَاكَ الصِّبَـا أثارَ وثارا
غَابَ في وَمْضَـةِ الزَّمَـانِ وَمَـا تَدْ
رِي خُطَـاهُ دُرُوبَهَـا والمَسَارا
غَابَ في حَـمْـأَةٍ مِنَ الوهْـمِ يَلْقَى
مِـنْ حُـمَـيَّاهُ فِتنـةً وعِثَارَا

وَانْـجَلَى مُنْ مَوَاكِب الفَـجْـرِ آيَا
تُ تَشُـدُّ القُلُـوبَ والأَبْصـارَا
فالسُّـكُونُ النَّـدِيّ يَنْطِـقُ بالحَـ
ـقِّ بَيَانًـا عَلَى المَسَامِـعِ دارا
وَرَفِيْفُ الـوُرُوْدِ لَيْسَ صَبَابَـا
تٍ لِدَانُ الغُصُون لَيْسَت عَـذَارَى
والنَّـدَى لم يَـكُنْ دُمُـوعَ الغَوَانِـي
والأَزاهِـيْـرُ لَمْ يكُنَّ سَـكَارَى
كَانَ نَفْـحًـا مِنَ الخُشُـوع نَدِيًّا
وَجَـلالاً يَـفُضُّـهُ أَنْوَارَا
وَدُعَـاءً يَـمُـوجُ فِي عَالَـمِ الصَّمْـ
ـتِ يُنَـدِّي التسـبيحَ والأَذْكَارا
وَنِـدَاءً عَـلَى صَدَاهُ اللَّيَالِي
رَجَّـعَـتْ هَدْيَهُ وَخَاضَـتْ غِـمَارَا
وَانْتَشَـتْ زَهْـوَةً فَأَغْضَـتْ حياءً
وانَـحَنَـتْ مِنْ جَلاَلِـهِ إِكْبَارَا
عَالَمَ الحَـقِّ ، والشَّـذَى من طُيُوفٍ
رَفْرَفَـتْ فِي خُشُوعِهَـا أَطْـهَارَا

* * * *

عَالَمَ الوَهْم . . . ، ! كَمْ قَتَلْتَ نُفُوسًا
وأَضَعْـــتَ . الشَّـبَـابَ والأَعْـمَارَا
وَثَبَــتْ شَـهْـوَةُ الذِّئَــاب عَلَيْه
عَــادِيَات وَأَنْشَـبَـتْ أَظْفَـارَا
نَزَعَـــتْ نابَـهَـا المُدَمَّـــى وأَلْقَتْ
بالضَّحَــايَا وَأَدْبَـرَتْ إدبارًا
أَيُّ تِـيْـهٍ تَمُــوجُ فِـيْـهِ اللَّـيَالي
وَتُــدَوِّي دُرُوْبُـــهُ إِعْـصَارَا

❋❋❋❋

ربٍّ لي تَوْبَـةً تَرُفُّ حنَايَا
هـا وَيَطْـوِي نَدِيُّـهَــا الأَوْزَارَا

❋

١٩٥٤

معانٍ كثيرة من النبل والأخلاق غابت عن حياتنا الاجتماعية وتبدلت في زحمة الهوى والشهوات ، فتبدل الأمن في النفوس إلى قلق ، وتبدل الصفاء إلى اضطراب .

غيَـاب

مَضيْتِ . . . ! وخلَّفْتِ أَشْـوَاقَ نَفْسِي
تَـمُـوجُ وتَـهْـوَى نَدِيًّ الخِـلالْ
وَغِبْتِ . . . ! وكفَّـايَ تَنْطَلِقَانِ
تَشُـدَّانِ في عَالَـمٍ مِنْ خَيَـالْ

* * * *

دَعَوْتُـكِ . . . ! لَمْ تَسْمَعِـي أَضْلُعًا
تَـرِفُّ وكَـمْ تَسْمَعِـي شَفَتَيًّا
وَرُحْـتِ مَعَ الأُفُـقِ فِي وَمْضَةٍ
وَعَيْنِـي تُطَـارِدُ طَيْفًـا شَـهِيًّـا

* * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ قَبْلُ دُنْيَا الوَفَاءِ
وَدُنْيَا الرِّضاء وَعَهْداً سَخِيًّا
دَعَوْتُكِ مِنْ قَبْلُ هَلْ تَذْكُرِينَ
فَأَقْبَلْتِ بِشراً وَوَجْهًا رَضِيًّا

* * * *

عَرَفْتُكِ وَجْهًا تَفِيضُ الحَيَاةُ
عَلَى وَجْنَتَيْهِ وَثَغْرًا بَسَمْ
وَعَيْنَاكِ تَسْكُبُ فِي نَاظِرِيَّ
ضِيَاءً وَفِي الرُّوحِ حُلْوَ النَّغَمْ

* * * *

هُنَاكَ عَرَفْتُكِ هَلْ تَذْكُرِينَ
مَرَابِعَنَا الخُضْرَ والجَدْوَلا
وَسَاحًا غَرَسْنَا عَلَيْهِ الأَمَانِي
وَرَوْضًا سَقَيْنَاهُ والمَنْزِلا

* * * *

هُنَاكَ ضَمَمْتُكِ فِي أَضْلُعِي
وَأَغْمَضْتُ جَفْنِي وَلَمْ أَنْدَمِ

كَتمْتُــكِ فِي القَلْــبِ مَعْنَــى الحَيَاةِ
أُغَــذِّيْهِ مِنْ كَبِــدِي أَوْ دَمِي

* * * *

هُنَــاكَ على المَـرْجِ سَاحَاتُنا
طَرَحْنَــا عَلَيْهَــا هُمُــومَ الكَلاَلْ
وَغِبْنَــا عَلَىَ جَنَبَــاتِ الرُّبَـا
ظِــلالاً تَرِفُّ ودُنْيَـا خَـيَالْ

* * * *

هُنَــاكَ صَنَعْتُــكِ مِنْ أَضْلُعِي
وصُغْتُــكِ مِنْ فِكْرَةٍ عَبْقَرِيَّة
أُذِيب عَلَيْكِ رَخِــيَّ المُـنَى
وأُلقــي عَلَيْكِ الرِّغَــابَ السَّخِيَّة

* * * *

أَتَــمْضِــينَ والنَــاسُ تَبْقَــى هُنَا
تُطَالِــعُ مِنْــكِ سَرَابًــا يَغِيبْ . . . !
وكُنْــتِ هُنَــالِكَ آمَالَهُمْ
وَرُوحًــا لَهَــا خَفْقَــةٌ وَوَجِيبْ. . . !

* * * *

أَتَـمْضِـيـنَ عَنَّـا وأَبْقَـى هنا
أشُـقُّ الـدُّرُوبَ وأَطْـوِي الزَّمَـنْ . . . !
أُوَدِّعُ في الأُفْـقِ آمَـالَ قَومي
وأَدْفُـنُ رُوْحِـي بِهَـذِي الدِّمَـنْ . . . !

* * * *

تَئِـنُّ ضُلُوعِـي وَمَـا يَسْتَجِيْبُ
لِهَـذَا الأَنِـيـنِ سِوَى أَضْلُعِي
شَجِيًّا أُحِـرِّقُ آلامَ نَفْسِي
وَأَطْـوِي لَظَاهَـا عَلَى أَدْمُعِي

* * * *

إِذَا غِبْـتِ فالنَّاسُ دُنْيَا وُحُوشٍ
وَضِرْسٌ يَدُقُّ وَنَـابٌ قَطَعْ
تَسُوقُهُـمُ مُغْـرِيَاتُ الدّنايا
وتُـمْعِـنُ فِيهِـمْ شِفارُ الطَّـمَعْ

* * * *

تُمَـزِّقُ أَرْحامَهَـمْ والصِّلاَت
وَتَغْلُبُهُـمْ نَـهْـمَـةُ الشَّـهَوَات

وتُطْــوَى   المُرُوءَةُ   في   حَــمْأَةٍ
تُبَــكِّي   علَى   ثُلَّــةٍ   مِنْ   أُبَاةِ

* * * *

أَدُنْيَا الوَفَــاءِ . . . ! أأنْسَى هَواكِ!
وَإنْ غِبْــت. . . ! ما زَالَ فَيضًــا جَنَاكِ
فَكَمْ قَدْ وَهَبْــت جَديبَ النُّفُوسِ
نَــدِيًّا   وأغْــدَقْتِ   نُعْمَى نَدَاكِ

* * * *

فَدُنْيَاكِ   عُلْوِيَّــةُ   المُجْتَنَى
تَفُضُّ   مَغَــانِيكِ   عِطْــرًا   شَهِيًّا
تَرِفُّ   مِنَ   الوَحْــيِ   أَنْدَاؤُهُ
فَتَزْهِــرُ   رَوْضًــا   وَتَــزْكُو   جَنِيًّا

* * * *

١٩٥٤

وقف هناك . . . في ساعة من ساعات الغروب ، ينظر إلى الأفق تتبدّل فيه الألـوان . حتـى إذا حلّ الظـلام ، وغابـت الألوان والطيوف ، وبرزت النجوم كأنها قنـاديل معلقـة في السماء . . . رأى في نفسه كذلك آفاقاً تمتد يتبدّل فيها الضياء والظلمة . . . وحوله أمّة تغيب بَـيْنَ آمالٍ وضياع .

ورأى الفجر في صفوه وهدوئـه ولألائـه . فَـبَـيْنَ آفـاقِ الكون الممتدة الواسعة ، وبين آفاق نفسـه كذلك رأى آيات وآيات تتلاقى عندها كل الآفـاق في مواكب تسجـد كلهـا لله خاشعة . . .

آفَـاق

أَلَــمٌ عَلَى أَجْفَانِــيَ الأُفْــقَ والمَدَى
فَأَجْـمَعُــهُ ظِلاًّ وَأَنْشُرُهُ نَدَى
تَحَـيَّرَتِ الأَلْـوَانُ فِيهِ كَأَنَّـما
نَثَــرْتُ عَلَيْهِ الشَّــوْقَ نَـثْــرًا مُـجَدَّدا
يَـمُــوجُ أُوارُ النَّـفْسِ بَـيْـن احْمِرَاره
عَلَى شَفَــقٍ غَافٍ وَذَيْلٍ تَبَدَّدَا
بقــاياهُ أَشْتَــاتُ الضَّيَاعِ تَنَاثَرَتْ
عَلَى خَـجَــلٍ هَاجَ الأَسى فَتَوَرَّدَا

فَتَهْوِي الطُّيُوفُ الحُمْرُ خَلْفَ حُطَامِهِ
عَلَى ظُلْمَةٍ دَكْنَاءَ لَمْ تُبْقِ مَنْفَذَا
كَأَنَّ الدُّجَى مَوْجٌ تَعَلَّقْنَ فَوْقَهُ
قَنَادِيلَ كَمْ هَيَّجْنَ نَجْماً وفرقدَا
غَفَوْنَ . . . وَمَرَّ الفَجْرُ يَطْوِي شَتَاتَهَا
وَيَنْشُرُ من لألائِه مَا تَوَقدَا
وَإِمَّا صَفَتْ نَفْسٌ وَطَابَ بِهَا المُنى
بَدَا الأُفْقُ صَفْوًا طَابَ حُسْنًا وَمَوْرِدَا
عَلَى زُرْقَةٍ ذَابَ الحَنَانُ وخَفْقُهُ
عَلَيْهَا اصْفِرَاراً عَادَ دُرًّا وَعَسْجَدَا

* * * *

هُنَالِكَ مَا ضَيَّعْتُ نَظْرَةَ خَاشِعٍ
وَلاَ فَقَدَتْ نَفْسِي مَعَ الأَمْنِ مُنْجِدَا
أَطُوف كَمَا طَافَ الجَمَالُ وأجْتَلِي
رُؤًى عَبْقَرِيَّاتِ الجمالِ وَمَشْهَدَا
أَزَحْتُ هُمُومَ العُمْرِ أَلْقَى مَوَاكِبا
مِنَ الخَيْرِ فَضَّتْ دُونَهَا آيَةَ الهُدَى
تُرَجِّعُ آمَادًا مَضَيْنَ وَحِكْمَةً
يُجَدِّدْنَ آياتٍ وَيَعْرِضْنَ مَوْلِدَا

مَوَاكِبُ ... ! فاشْهَــدْ عِنْدَهَــا كلَّ آيةٍ
ورَتِّلْ عَلَىَ آيَاتِهَــا الحَـمْــدَ والنَّدَى
مَوَاكِبُ ...! ما فِي الــكَوْنِ إلا خُشُوعُهَا
وكُلُّ الــذي بَـيْـنَ الضُّلُــوعِ لَه صَدَى

* * * *

مَدَدْتُ بِآمَــالِي إلى الأُفْــقِ عَلَّنِي
أَرَى قَبَسًــا أَهْــدَى إليَّ وَأَرشَدَا
رَجَعْــتُ وَفِي نَفْسِي دَوِيٌّ وَحَـيْــرَةٌ
وَعَــادَتْ بِيَ الآمَــالُ تَسْأَلُنِــي يَدَا
تَقُــولُ : حَنَــانَيْكَ ... الضِّيَاءُ جَمِيعُهُ
بِذَاتِكَ... ! فَانْشُــدْ إنْ رَغِبْـتَ بِهَـا الهُدَى
بِذَاتِــكَ ... فِي عَيْنَيْكَ .. فِي القلبِ .. فِي يَدٍ
عَلَىَ خَفَقَــاتِ الشَــوْقِ هَيَّجْنَ أَكْبُدَا
بِرَجْعَــةِ أَنْفَــاسٍ ... بِلَهْفَــةِ أَضْلُعٍ
بإِشراقَةٍ... بالعَيْشِ ... بالسَّعْي .. .بالرَّدَى
هُنَــا ... ! فِي بَنَــانٍ دَقَّ صُنْعًــا وَآيَةً
وَجَارِحَــةٍ تَـجْلُــو لِعَيْنَيْكَ مَوْرِدَا
وَفِي فِطْــرَةٍ أُوتِيتَهَــا لو سَأَلْتَهَا
عَــنِ الحَــقِّ قامَتْ كَي تُبِيـنَ وَتَشْهَدَا

بِذَاتِـكَ . . . ! فِي جَنْبَيْكَ . . . آفَـاقُ عَالِمٍ
فَسِيحٍ . . . وَأَنْـوَارٌ وَمَـوْجٌ مِنَ الصَّدَى
تَأَلَّـقُ أَوْ تَـحْنُـو بِضَـوْءِ شُمُوسِهَا
أَمَانًـا وَتَبْتَـلُّ الجَـوَارِحُ بِالنَّدَى
كَأَنَّ الأَمَانِـيْ فِيْ حَنَـايَاكَ رَوْضَةٌ
تَفَتَّـحُ عَنْ زَهْـرٍ وَتَـهْتَـزُّ بِالجَدَا
تُبَلِّلُهَـا نُـعْمَـى اليَقِـينِ . . . بِرِيِّـهَا
وُرُودًا وَتَسْقِيْهَـا البَشَائِـرُ سُؤْددا
صَفَا حُسْنُهَا . . . حَتَّى إِذَا اضْطَرَبَ الهَوَى
بِنَفْسٍ طَوَى آفَاقَـهَـا اللَّيْلُ أَسْوَدَا
يَـمُـورُ مِنَ الأَهْـوَاءِ مَوْجٍ ظَلاَمِهَا
وَيَـهْـدُرُ شَوْقٌ ضَجَّ فِيهَـا وَأَرْعَدَا
إِذَا أَوْمَضَـتْ بَـيْنَ الدَّيَاجِـيرِ شَهْوَةٌ
رَجَعْـنَ دُخَانًـا خَانِقًـا فِيهِ أَرْبَدَا

❋ ❋ ❋ ❋

رَجَعْـتُ وَأَضْحَـى الأُفْـقُ، مَهْمَا نَأَى بِهِ
مَـدَى ، عَادَ يَدْنُـو مِنْ فُؤَادِيَ مُرْشِدَا
هُنَـالِكَ آفَـاقٌ تَـمُـرُّ وَهَـا هُنَا
كذلك آفَـاقٌ تُوَاكِبُ مَوْعِدَا

تَلاقَـتْ عَلَىَ آيَاتِهَـا . . . ! فَكَأَنَّمَا
رَأَيْتَ بِهَـا الـدُّنْيَا خُشُوعًـا وَمَعْبَدَا

هُوَ الله . . . ! فانْظُـرْ حيثما شئـتَ آيَـةً
بِهَـا سُجَّـدًا للهِ يَتْبَعْـنَ سُجَّدَا

* * * *

توفي والدي علي رضا النحوي بدمشق عام ١٩٥٦ كنت بعيداً عنه . . . في الكويت . . . ! لم أقل فيه رثاء آنذاك ، ومضت السنون ، وبعد ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً كنت أذكر خلالها دروسه ، وَصَبرَه ، وجهادَه الصامتَ وفي لحظة على غير موعد ، نظمت هذه الأبيات ، اذكره وأذكر معه مرحلة من التاريخ .

أبتاه ... أين الفجر ... ! كم رَاقَبْتُهُ

أَلْقَيْتُ مِنْ ذِكرَى الحَنَانِ ظِلاَلاَ
وَرَأَيْتُ مِنْ بَيْنَ الطُّيُوفِ خيَالاَ
أَغْمَضْتُ أجْفَانِي لأَطْوِيَ بَيْنَهَا
طُولَ المَدَى وأُقَرِّبَ الأَجْيَالاَ
وَمَدَدْتُ مِنْ كَفِّيَّ رَعْشَةَ وَامِقٍ
بَيْنَ الرُّؤى تتَلَمَّسَانِ مِثَالاَ
وَمَدَدْتُ مِنْ نَظَرِيْ إِلَيْهِ صَبَابَةً
وَمَدَدْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ وِصَالاَ
يَا طِيْبَ طَلْعَتِهِ وَطِيبَ وَقَارِهِ
جُمِعَا فَكَانَا زِيْنَةً وَخِلاَلاَ

طَيْفًا أَلَمَّ عَلَى الدُّجَى فَعرَفْتُهُ
إشْرَاقَةَ القَسَمَاتِ والإِقْبَالاَ
أَبَتَاهُ . . . ! يا طُولَ السُّرَى دَفَعَ الخُطَا
يَتَقَحَّمُ السَّاحَاتِ والأَدْغَالا
تَتَنَاثَرُ الأَشْوَاكُ تَدْمَى دُونَهُ
لِيَشُقَّ بَيْنَ دُرُوبِهِ الآمَالاَ
أَبَتَاهُ . . . ! يَا طُوْلَ السِّنِينَ حَمَلْنَنِي
وَرَجَعْنَ بِي الأَزْمَانَ والتَّرْحَالاَ

* * *

أَعَلَى رُبَا « آسْتَانْبُولَ » أَمْ بِضفَافِهَا
لَوَّحْتَ « قاصِمَةً » (١) وَخُضْتَ نضالا
وَمَعَ « الشَّبَابِ المُؤْمِنِينَ» (٢) دَفَعْتُمُ
دُونَ الحِمَى الآسَادَ والأَشْبَالا
دَارُ الخِلاَفَةِ وَالمَكَائِدُ حَوْلَهَا
قِطَعٌ تَحُوكُ مِنَ الظَّلاَمِ حِبَالاَ
تَلْتَفُّ حَوْلَ ضُلُوعِهَا فَتَشُدُّهَا
وتُمَزِّقُ الأَعْضَاءَ والأَوْصَالاَ

(١) حين وثب بعصاه يضرب أحد دعاة القومية التركية .
(٢) الذين يدعون إلى الخلافة .

وَإِذَا « شعـــار الجـــاهليَّة »(٣) رَايَةٌ
خَفَقَــتْ لِتَحْشُــدَ فِتْنَــةً وَضَلاَلاَ
وَإِذَا « بِطَائِفَــةٍ »(٤) تَشُــدُّ على المُـدَى
طَعْنًــا يُدَمِّــي الــكفَّ والأَنْصَالاَ
نَظَــرَتْ عَلَىَ الــظَّلْمَاَءِ تَـحْسَــبُ أَنَّهَا
هَاجَــتْ عَلَىَ نَـحْـرِ العــدَاةِ قِتَالاَ
فَإِذَا النَّصَــالُ جَمِّيْعُهَــا بِنُحُورِهَــا ،
بِقُلُوبِهَــا . . . ! وَدَمٌ هُنَــالِكَ سَالاَ
مَاتَــتْ مُرُوءَاتُ الرِّجَــال فَلَــمْ تَعُدْ
تَلْقَــى عَلَىَ أَلَــمِ الشّفَارِ رِجَالاَ
أَبَتَــاهُ . . . ! ما زِلْنَــا عَلَىَ طَعَنَاتِهِمْ
نَدْمَــى . . . ! وَيَنْــزِفُ جُرْحُنَــا الأَهْوَالاَ

* * * *

أَبَتَــاهُ . . . ! يَا طُوْلَ السُّرَى، لَمَّ الدُّجَى
النَّظَــراتِ والخُـطُـوَاتِ والأَثْقَالاَ
أَبَتَاهُ . . . ! أَيْنَ الفَـجْـرُ . . . ! كَمْ رَاقَبْتَهُ
فِيْ الأُفْـقِ . . . ! لَمْ نَلْمَـحْ لَهُ إِطْلاَلاَ

---

(٣) القومية .

(٤) الفئة التي كانت تدعو إلى الإقليمية والقومية لتمزيق ديار المسلمين .

مَاتَــتْ عَلَيْهِ جُفُونُنَــا تَطْــوِي الْمُنَى
تَــهْــوِيْ عَلَىَ خَدَرِ الزَّمَــانِ كَلاَلاَ
سَنَظَلُّ ، مَـهْـمَا طَالَ هَذَا اللَّـيْـلُ ، نُشْعِـلُـ
ـهُ بِوَمْضِ قَنَاتِنَــا إِشْعَالاَ

* * * *

أَبَتَــاهُ . . . ! كَمْ طَوَّفْــتَ بَـيْـنَ دِيَارِهَا
أَنَّــى اتَّـجَـهْــتَ رَأَيْتَ فِيْهَــا الآلاَ
وَصَلَــتْ مَغَارِبَهَــا بِطِيبِ وُرُودِهَا
شَرَفًا وَوَثَّقَــتِ العُــرَى وَحِبَالاَ
وكَأَنَّــمَا البَيْتُ الحَـرَامُ وَطِيبَةٌ
والمَسْجِـدُ الأَقْصَى يَفِضْــنَ نَوَالاَ
قَلْبًــا يَـمُـدُّ هُدًى عَلَىَ خَفَقَانِهِ
يَرْوِيْ العُــرُوقَ وَيَدْفَــعُ الأَوْصَالاَ
نُوْرًا يَـمُــوجُ مِنَ النُّبُــوَّةِ عِنْدَهَا
يَسْكُبْنَــهُ مِلءَ الــرُّبَا شَلاَّلاَ

* * * *

حَالَــتْ مَنَازِلُهَــا وَجَفَّ بِهَــا النَّدَى
عَصَفَ الــرِّيَاحِ وَأَعْوَلَــتْ إِعْوَالاَ
الحَادِثَــاتُ تَـمُــورُ فِي أَحْشَائِهَا
وَتَثُــورُ بَـيْـنَ رُبُوعِهَــا زِلْزَالاَ

فَتَمَزَّقَتْ مِنْهَا القُلُوبُ وَقُطِّعَتْ
مِنْهَا الكُبُود وَبَدَّلَتْ أَحْوَالاَ

* * * *

عَاصَرْتَهَا . . . ! واللَّيْلُ يَدْفَعُ مَوْجَهُ
وَيَمُدُّ خَلْفَ حُدُودِهَا الأَذْيَالاَ
أَدِمَشْقُ أَمْ عَمَّانُ كَانَتْ مَوْئِلاً
أَرْعَدْتَ فِي سَاحَاتِهَا رِئْبَالاَ
لَمْ تَرْضَ يَا أَبَتَاهُ أَنْ تَبْقَى كَمَا
بَقِيَ العبِيْدُ تُعَانِقُ الأَغْلاَلاَ
حَطَّمْتَهَا . . . ! وَمَضَيْتَ لاَ تَلْوِي عَلَى
كِبْرٍ يُذِلُّ وَزُخْرُفٍ قَدْ زَالاَ
وَطَرَحْتَ أَلْقَابًا وَقُمْتَ لِهِمَّةٍ
جَعَلَتْ مَرَامِيهَا أَعَزَّ مَنَالاَ
الشامخاتُ مِنَ العُلاَ أَدْنَيْتَهَا
بِيَدٍ فَكَانَ لَهَا نَدَاكَ مَآلاَ
وَنَزَلْتَ « كَنْعَانَ » (٥) النَّدِيَّ وَسَاحَةً (٦)
نَفَحَتْ مِنَ الدَّمِ طِيبَهَا إِرْسَالاَ

(٥) كنعان جبل في مدينة صفد .
(٦) ساحة : أي فلسطين وبلاد الشام .

دَفَعَتْ عَلَى مَوْجِ الرَّدَى أَكْبَادَهَا
تَصِلُ الزَّمَانَ وَتُنْبِتُ الأَبْطَالاَ

وَ«الإِنْتِدَاب»[7] يَمُدُّ سَمَّ نُيُوبِهِ
شَرَكًا وَيُلْقِي بَيْنَنَا الأَحْبَالاَ

يَبْنِي «لِصَهْيُونَ» الخَيَالَ حَقِيقَةً
قَهْرًا، يُحِلُّ ضَلاَلَهُمْ إِحْلاَلاَ

عَجَبًا لَهُمْ . . . ! باسْمِ «الحضارةِ» قَطَّعُوا
دَاراً وَخَطُّوا لِلحُدُودِ مَجَالاَ

سَتَظَلُّ هَاتِيكَ الحُدُودُ عَلَى المَدَى
جَرْحًا يَئِنُّ وَصَيْحَةً تَتَعَالَى

سَتَظَلُّ تُطْلِقُ مِنْ نَزِيفِ دِمَائِهَا
شِيبًا يَقُودُ إِلَى الفِدَا أَنْجَالاَ

* * * *

يَا لِلجَرِيمَةِ . . . ! لَمْ تَرَ الدُّنْيَا لَهَا
سَبْقًا وَلَمْ تَشْهَدْ لَهَا أَمْثَالاَ

هِيَ مَعْرِكَ الإِسْلاَمِ مَدَّتْ سَاحَهَا
لِتَخُوضَ فَوْقَ مَدَى الظُّنُونُ مَجَالاَ

---

(٧) الانتداب الانكليزي على فلسطين .

كَمْ سَاوَمُوكَ لِكَيْ تَبِيْعَ تُرَابَهَا
بالتِّبْرِ ، كَمْ نَثَرُوا لَهَا الأَمْوَالاَ
عَظُمَتْ نُفُوسُ المُؤْمِنِينَ فَأَرْخَصَتْ
مَا فَتَّحُوا بِبَرِيْقِهِ الأَقْفَالا
وَسَمَا بِكَ الإِيْمَانُ حَتَّى أَبْصَرَتْ
عَيْنَاكَ بَيْنَ تُرَابِهَا الأَجْيَالاَ
جَبَلَتْ عَلَى طِيْبِ الدِّمَاءِ جِهَادَهَا
مَجْدًا تَأَلَّقَ بَيْنَهُ وجَلاَلاَ
وَرَأَتْ بِهِ التَّارِيْخَ يَصْنَعُ أُمَّةً
وَعَقِيدَةً جَبَلَتْ بِهِ الآمَالاَ
فَإِذَا بِأَصْغَرِ حَبَّةٍ فِي أَرْضِهَا
دُرٌّ يَشِعُّ وَجَوْهَرٌ يَتَلاَلاَ
وَصَلَتْ عَلَى نَفْحِ السَّمَاءِ مَرَابِعًا
خَشَعَ الزَّمَانُ أَمَامَهَا إِجْلاَلاَ
وَسَمَوْتَ بالشَّمَمِ الأَبِيِّ: « رُوَيْدَكُمْ
تَلْقَوْا عَلَى هذا التُّرَابِ مَقَالاَ »
إِنَّا لَنَغْرِسُهُ وَنَرْوِيْهِ الدِّمَا
كَيْ نُنْبِتَ الأَقْوَالَ وَالأَفْعَالاَ

* * * *

« الثَّــوْرَةُ الكُبْــرَى »[8] نَزَلْــتَ غِـمارَها
حِمَماً تَصُــبُّ عَلَيْهِـمُ وَنكَالاَ

مَعْ عُصْبَــةٍ تُوْرُوْنَ وَقَدَ عَزِيمُةً
صَنَعَــتْ لِـمَلْحَمَــةِ الحَيَاةِ رِجَالاَ

يَلْقَــى البَيَانَ عَلَى ذُرَى رَبَوَاتِها
مَــنْ كَانَ يَطْـمَـعُ أَنْ يُعِيْدَ سُؤالاَ

شُعَــلاً تُضِيءُ لَهَــا لَيَالِيَ عُرْسِهَا
وِدْيَانَهَــا وَسُهُولَهَــا وَجِبَالاَ

مَـهْمَا أَصَــابَ « الإِنجلِيزُ » بِبَطْشِهِ
أَوْ جَاوزَ « التَّشْرِيدَ » و « الإِقْلاَلاَ »

أَوْ هَدَّمُــوا دَاراً وَسَامُــوْا عُـجَّزًا
أَوْ رَوَّعُــوا بَيْــنَ الحِمَــى الأَطْفَالاَ

عَزَّتْ نُفُــوسُ المُؤْمِنِيْنَ فَلَـمْ يكُنْ
يَقْــوَى لِيبلُـغَ مِنْهُــمُ الإِذْلاَلاَ

* * * *

خَفَّــتْ رُبَــا « بَيْـرُوت » تَلْقَــى فِيْكُمُ
زَهْــوَ المُنَــى والبِشْرَ والإِقْبالاَ

---
(٨) ثورة ١٩٣٦ .

وَدِمَشْقُ . . . ! يَا طِيْبَ اللِّقَاءِ وَقَدْ جرَى
بَــرَدَى يُعِيْدُ صَدًى وَيَشْــكُو حَالاَ
« الإِنْتِـدَابُ » جَثَـا هُنَـالِكَ فَالْتَقَتْ
احقاده السوداء حيث أجَالاَ
ذَبُلَــتْ عَلَى زُهْــرِ الــرِّيَاضِ وُرُودُهَا
وَشَــكَتْ لِتَلْقَــى قَطْــرَةً وَبلاَلاَ
مَا نَامَ أَبْطَــالُ الشَّــآمِ عَنِ الفِدَا
فالنَّصْــلُ يُـحْجَـزُ إِنْ أَرَدْتَ صِقَالاَ
نَهَضُــوا . . . ! جُفُوْنُهُـمْ تُطِــلُّ عَلَى الرَّدَى
شَوْقًــا لِيَلْقُــوا جَنَّــةً وَظِلاَلاَ

* * * *

أَبَتَـاهُ . . . ! أَيْنَ المُـشْرَعات عَلَى الرُّبا !
طُوِيَتْ . . . ! وَأَيْنَ المُرْعِـدَاتُ ثِقَالاَ . . . !
المُعْــطِيَاتُ إِلَى السَّحَــابِ بَوَارِقًا
الآخِــذَاتُ مِنَ اليَقِــيْنَ نِصَــالاَ . . . !
سكَنَتْ . . . ! فَـمَنْ رَدَّ السُّيُوفَ لِغِـمْدِها !
طُـوِيَتْ . . . ! فَـمَـنْ خَنَـقَ النِّـدَاءَ فَزَالاَ
الأَهْلُ . . . ! والجيرانُ . . . ! والرَّحِمُ الَّذِي
نَاشَدْتُـمُــوهُ مَوَدَّةً وَوِصَــالاَ . . . !

وَرُؤًى مِنَ الأَشْبَـاحِ فَوْقَ مَسَارِحٍ
هَتَفَ القَـطِيعُ لَهَـا وَشَـدَّ عِقَـالاَ . . . !

****

وَمَضَيْتَ لَمْ تُسْلِـمْ زِمَامَـكَ لِلْعِدَى
صَبْـرًا عَلَى مُرِّ الطِّـرَادِ تَوَالى
وَمَضَيْتَ فِي دَرْبٍ تَشُـقُّ صُخُورَهُ
شَقًّـا وتَـخْضُـدُ شَوْكَهُ القَتَّالاَ
لَمْ يُـحْـنِ « إقـلالٌ » جَبِيْنَـكَ مَرَّةً
وَنَثَـرْتَ مِنْ عِظَـمِ النُّفُـوسِ النَّـالاَ (٩)
لَمْ تَرْضَ مِنْ دُنْيَاكَ شَهْـوَةَ طَامِعٍ
تُـرْدِي البِـلاَدَ وَتُسْلِـمُ الأَطْفَالاَ
لَمْ تَرْضَ زَخْرُفَهَـا يُرَاقُ أَمَامَهُ
عِـرْضٌ وَيَطْـوِي القَـهْـرَ والأَغْلاَلاَ
فَـحَـنَـا لَكَ الأَعْـدَاءُ هَامَـةَ صَاغِرٍ
وَعَلَـوْتَ تَنْفَـحُ لِلحَيَاةِ جَـمَالاَ

****

---

٩ - العطاء

وَرَجَعْتَ . . . ! أَنَّى طُفْتَ فِي ساحَاتِهَا
عَانَقْتَ أَعْمَاماً بِهَا أَوْ خَالاَ
هِيَ أُمَّةٌ جَمَعَتْ عَلَىَ أَرْحَامِهَا
نَسَبًا مِنَ الإِسْلاَمِ طَابَ فِعَالاَ
وَحَمَلْتَ مِنْ نَفْحِ الجُدُودِ ، مِنَ التُّقَى
عَزْمًا يَزُفُّ مِنَ البشَائِرِ فَالاَ
مَهْمَا يَطُل لَيْلٌ فَإِنَّ صَبَاحَهُ
سَيُطِلُّ يُوقِظُ نُوَّمًا وكُسَالَى
وَغَدًا مِنَ الرَّحْمنِ تَلْقَى عِنْدَهُ
أَمْنًا لِتُشرِقَ بالسَّعَادَةِ بَالاَ

* * * *

أَبَتَاهُ . . . ! يَا يَوْمَ النُّزُوحِ كَأَنَّهُ
يَوْمٌ تُرِيْدُ بِهِ الجِبَالُ زَوَالاَ
كَمْ مَرَّةٍ جُزْتَ الحُدُودَ وكَمْ مَضَتْ
عَبْرَ الحُدُودِ خُطًا تَخُوضُ نِزَالاَ
واليَوْمَ أَمْوَاجٌ تُسَاقُ لَمَهْمَهٍ
يَطْوِي عَلَىَ زُهْرِ الرِّغَابِ رِمَالاَ

* * * *

أبَتَاهُ . . . ! هذِي الشَّامُ فانْزِلْ رَوْضَهَا
حُرًّا لِتَلْقَى شِيمَةً وَخِلاَلاَ

المؤمنون مِنَ المَنَابِرِ أطْلَقُوا
مَدَدَ الجِهَادِ وأقبلُوا أرْتَالاَ

زَحَفَتْ ضِفَافُ النِّيلِ يَدْفُقُ مَوْجُهَا
وَضِفَافُ دَجْلَةَ والفُرَاتِ قِتَالاَ

وتَلَفَّتَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ لِكَيْ تَرَى
مَكْرًا يُحَاكُ وَخِدْعَةً وَخِتَالاَ

سكَتَتْ بَنَادِقُنَا وَغَابَ دَوِيُّهَا
وَمَضَوْا عَلَى سَاحَاتِهَا قُفَّالاَ

ضاعَتْ فِلَسْطِينُ النَّدِيَّةُ فَانْدُبي
يا نَفْسُ مِنْ حُلُمِ الجُفُونِ خَيَالاَ

وَنَهَضْتَ والصَّحْبُ الأَبِيُّ لِتَعْتَلُوا
هُوْجَ الصِّعَابِ وتَرْكَبُوا الأَهْوَالاَ

وَنَهَضْتَ . . . ! لَكِنَّ القَضَاءَ إِذَا أَتَى
أَخَذَ النُّفُوسَ وَحَدَّدَ الآجَالاَ

وَنَزَلْتَ . . . ! والقَبْرُ النَّدِيُّ كَأَنَّهُ
يَرْوِي عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ فِعَالاَ

****

يَا قَبْرُ أُودِعُكَ الأُبُوَّةَ ، والحَنَانَ ، وَدَمْـ
ـعَةً ، ورُؤًى مَضَيْنَ عِجَالاَ
يَا رَوْضَةً . . . ! وكَأَنَّني أَبْكِي بِهَا
صَفْوَ الحَنَانِ وَأَنْدُبُ الأَطْلاَلاَ
وكَأَنَّني أَلْقَى عَلَىَ زَهَرَاتِهَا
حُلْوَ النَّدَى وَالبِشْرَ والآمَالاَ
بِالأَمْسِ أَوْدَعْتُ الأُمُومَةَ رَوْضَةً
وَسَقَيْتُهَا دَمْعًا هُنَالِكَ سَالاَ
يَا رَوْضَتَيْنِ . . . ! وَتِلْكَ دَعْوَةُ مُهْجَتِي
لله . . . ! أُلْقِي ذِلَّتِي وسُؤَالاَ
أَنْ يَسْتَجِيبَ وَأَنْ يُفِيضَ بِرَحْمَةٍ
وَسِعَتْ تُنَدِّي العُمْرَ وَالآجَالاَ
يا « غوطة الشَّام » النَّدِيَّة رَفْرِفِي
بِالطِّيْبِ مِنْ عُوْدَيْنِ عِنْدكِ مَالاَ
مُدِّي غُصُونَكِ ، أَوْ أَطِلِّي بالنَّدَى
بَيْنَ النَّسِيمَ سَرَى هُنَاكَ وَجَالاَ

١٣٩٨/٥/٤

١٩٧٨/٤/١١

الشيخ أحمد النحوي ، كان قاضياً في عدة مدن في فلسطين ، توفي في دمشق بعد النزوح . . . !
وبعد هذه الأعوام الطويلة التي حملت ذكريات كبيرة ، التقيت مع طيفه .

عمّاه أحمد

أَلْقَيْتُ عَنْ نَفْسِي دَوِيَّ جِرَاحِي
وَحَمَلْتُ مِنْ أَمْسِي رَبِيْعَ صَبَاحِي
وَسَرَحْتُ فِي الذِّكْرَى أَلُمُّ شَتَاتَهَا
بَيْنَ الطُّلُولِ وَمَلْعَبٍ أو سَاحِ
وَمَنَازِلٍ مَا زَالَ بَيْنَ ظِلاَلِهَا
طَلٌّ وَأَصْدَاءٌ وَطَيْفُ مِلاَحِ
الحَانِيَاتُ عَلَى مَرَابِعِهَا هَوًى
هَمْسَ الحَنَانِ وَلَفْتَةَ الأَفْرَاحِ
نَدًّى مَطَالِعَهَا «رُؤَاهُ» وَرَفْرَفَتْ
مِنْهُ ظِلاَلُ بَشَاشَةٍ وَسَمَاحِ
عَمَّاهُ أَحْمَدَ . . . ! أَيْنَ طَيْفُكَ أَجْتَلِي
مِنْهُ نَدَاوَةَ وَجْهِكَ الوَضَّاحِ

أسْقِـي مِنَ الـذِّكْرَى الحَنَـانَ لِيَرْتَوِي
وَأُعِيْدُهُ زَهَـرًا وَطِيْبَ أَقَاحِي
فَأَرَاكَ يا عَـمَّاهُ ، نَـفْحَـةَ وَرْدَةٍ
عَبَقَـتْ تَلُـمُّ مَجَامِـعَ الأَدْواحِ

* * * *

يَا طِيْبَ بَسْمَتِـهِ . . . ! أَرَقُّ مِنَ النَّدَى
يَا طِيْبَ طَلْعَتِـهِ وَفَـأْلَ فَلاَحِ
كَمْ نَدْوَةٍ أَرْخَيْتَ بَـيْـنَ ظِلاَلِهَا
عِلْماً يَفِيضُ نَبَاهَـةَ النُّصَّاحِ
يَا عَالِـمَ الشَّرْعِ الحَنِيفِ وَحَامِـلَ الـ
فِقْـهِ النَّقِيِّ عَلَىَ تُقًى وَصَلاَحِ
أَلْقَـى مُـحَيَّاكَ النَّـدِيَّ كَأَنَّـهُ
نُـوْرٌ يُطِـلُّ مِنَ الدُّجَـى بِصَبَاحِ
تَهَـبُ التَّواضُـعَ والإِبَـاءَ كَأَنَّـماَ
تَهَـبُ الشَّـذَى لِمُصَاحِبٍ ومُلاحِي
يَلْقَـى عَلَىَ أَيِّ الشَّمَائِـلِ رامَهَا
أَرَجًـا وَرِقَّـةَ نَسْمَـةِ الإِصْبَاحِ

* * * *

رَجُلَ القَضَاءِ . . . ! وكَمْ حكَمْتَ بِفَيْصَلٍ
مَـا كَانَ فِي كَفَّيْكَ أَيُّ سِلاَحِ
صُغْـتَ النَّزَاهَـةَ والحِجَـى والعِلْـمَ أَنْـ
ـصالَ البَيَانِ وحُـجَّـةَ الإِفْصَاحِ
وَقَطَعْـتَ لا حَزًّا يَجُـورُ وَلاَ هَوًى
يَطغَـى ولـكنْ وَمْضَـةَ اللمَّاحِ
صُنْـتَ العَدَالَـةَ أَنْ تُـمَسَّ حُدُودُها
وَدَفَعْـتَ عَنْهَـا نَزْوَةَ المُجْتَاحِ
« الانْتِـدَابُ » وكَمْ عَدَا بِشُرُورِهِ
يَفْرِي وَيَقْطَـعُ فِي رُبـاً وَبِطَاحِ
سَرَقُـوا البِـلاَدَ وَقَطَعُـوا أَوْصَالَهَا
ظُلْماً بِغَـيْرِ جَرِيرَةٍ وَجُنَاحِ
كَفَّـاهُ تَقْطُـرُ مِنْ دِمَـاءِ جَرَائِمٍ
وَيَدَاهُ تَنْفُضُ رَعْشَـةَ السَّفَاحِ
لَمْ يَقْـوَ أَنْ يُـمْلِي عَلَيْكَ بِبَطْشِهِ
زَيْغَ القَضَـاءِ عَلَى نَهَـارٍ ضَاحِي
وَأَبَيْتَ أَغْـلاَلَ العبِيْدِ وَقُلْـتَ : لا
يُرْجَـى الصَّـلاَحُ عَلَى هَوَانِ صَلاَحِ
لاَ تَسْـتَقِيمُ عَلَى المَذَلَّـةِ عِزَّةٌ
أَوْ يُرْتَجَـى نَصرٌ بِمَكْـرِ إِبَاحِي

مَنْ لِلقَضَــاءِ وَقَــدْ تَركْتَ بِسَاحِهِ
شَــاةً تُنَــاشُ على مُدًى وَرِمَـاحِ

❊ ❊ ❊ ❊

عَـماَّهُ . . . ! مَا يَوْمُ النُّــزُوحِ ، وَإِنْ نَأَى
يُـطْــوَى ولاَ مَرُّ الزَّمَــانَ بِمَاحِي
تَـمْضِي السُّنُــونُ وفي القُلُــوبِ تَفَجُّعٌ
مِنْــهُ وَفِي الأَضْــلاعِ غَصَّــةُ لاَحِي
مَـهْـماَ حلاَ « بَرَدَى » وَطَــابَ نَسِيمُهُ
مَــا كَانَ يُطْفِــىءُ حُرْقَــةَ النُّـزَّاحِ
لاَ يَرْتَــوِي الــظَّـمأُ المُدَمِّــي والأَسَى
لَـفْـحُ الهَـجِــيرِ وَجَمْـرَةُ الأَتْرَاحِ
ونَزَلْــتَ مَا بَيْــنَ الظِّــلاَلِ نَدِيَّةً
جَدَثًــا طَوَيْتَ بِهِ عَنَــاءَ كِفَاحِ
نَطْــوِيكَ فِي كَفَــنِ الحَنَــانِ وَدَعْـوَةٍ
للهِ . . . ! تُنْــدِي سَاحَــةَ «الدَّحْدَاحِ»
يَا ربِّ فاجْعَلْــهُ عَلَىَ أَنْدَائِهِ
زَهَــرًا يَرِفُّ بِرَوْضِــهِ الفَيَّاحِ

❊ ❊ ❊ ❊

١٣٩٨/٥/١٢

أيهـا القلب ...!

أهُجُودٌ وتَـوَانِـيْ
أمْ صراعُ الحَـدثَـانِ
أشْغَلَـتْ عزْمَـكَ عَنْ نَيْـ
ـلِ العُـلاَ بِنْـتُ الزَّمَانِ
أيْنَ مَا أمَّـلْتَ مِنْ حُـ
ـلْمٍ ومَعْسُـولِ الأمَانِـي
أيْنَ صرْحٌ شِدْتَـهُ فِي الـوَ
هْـمِ خَـفَّـاقَ الجَـنَـانِ

* * * *

أيْنَ دُنْيَا صُغْتَـهَـا مِـنْ
دَمِـكَ الثَّـائـرِ أيْـنَـا . . . !
وشَـبَـابٌ هَـيَّـجَـتْـهُ
صرْخَـةٌ فِـي أذُنَيْنَا
هَدَأتْ ثَوْرَتُـكَ اليَـوْ
مَ ومَـا أوْفَـيْـتَ ديْـنَـا

وَدَوِيّ الأمْسِ أَضْحَى
هَمْسَةً فِي شَفَتَيْنَا

****

أنا لَمْ أهْدَأ وَهلْ يَهْـ
ـدأُ في الأحْدَاثِ قَلْبُ
غَضْبَةٌ للهِ تُذْكِيْـ
ـهَا مِنَ الآلاَمِ حَرْبُ
قَلْبِيَ الوثَّابُ قَحَّا
مٌ عَلَى الأَهْوَالِ صَعْبُ
زَهْوَةُ الإِيْمَان تَحْدُ
ونِي وأنْسَامٌ تَهُبُّ

***

ذِكْرَيَاتٌ تَبْعَثُ الما
ضِي فِي الخَاطِرِ هَمْسا
وَحَنِينٌ مَلأَ النَّفسَ
وَرَدَّ الغَدَ أمْسَا
وَجَنَاحٌ قَصَّهُ الدَّهْرُ ،
فَأزرى بِكَ حَبْسَا

وَرُبُـوعٌ ذَهَـبَ الدَّهْــ
ــرُ بِـهَـا هَـماً وَدَرْسا

* * * *

أَيُّـهَـا القَلْــبُ . . . ! هي الجَـوْ
لَــةُ أَفْـرَاحٌ وعِـيْــدُ
كُـلَّـماَ سَارَ على الدَّرْ
بِ وَأَدْمَـاهُ شَهِـيْـدُ
والتَقَــى المُؤْمِـنُ بِالمُؤْ
مِـنِ : رُوَّادٌ وَصِيــدُ
مَوْكِبٌ تَـخْـفُـقُ مِــن ذِكْـ
راهُ آفَــاقٌ وَبيــدُ

* * * *

مَوْكِبٌ تجْثُـو علــى أَقْـ
ـدَامِـهِ الــدُّنْيَـا جَثِيَّـا
وَيَضُـمُّ البِـكْـرَ مِــنْ أَمْـ
ـجَــادِهَـا خَضْـلاً نَدِيَّــا
يَصِـلُ الأَجْيَــالَ وَالأَزْ
مَــانَ والسَّــاحَـاتِ رِيَّـا

يُوْمِضُ العَـزْمَ علـى الأَنْـ
صَالِ يُـمْـضِيـهَـا مَضِـيًّـا

❊ ❊ ❊ ❊

أَلْـقِ بِالْـقَـيْدِ فَقَـدْ لاَ
نَ عَـلَى الـزَّنْـدِ وَهَـانَـا
وَآمْـضِ فِي دَرْبِـكَ هَذَا الدَ
رْبُ مَـدَّتْــهُ يَـدَانَـا
هُوَ دَرْبُ الحَــقِّ . . . ألا تَـخْـ
شَ غَبِيًّــا وَجَبَا نَا
وعُتَـاةً مَـلأُوا أَمْـ
سَـكَ خَـسْـفًـا وَهَــوَانَــا

❊ ❊ ❊ ❊

١٩٥٤

قصور وَأكواخ

رَبِّ ... ! في موْكِبِ الحَيَاةِ البَدِيْعِ
بَيْنَ آيَاتِهِ وَبَيْنَ خُشُوعِي
خفَقَاتُ الدُّعَاءِ بَيْنَ ضُلُوعِي
هَمَسَاتُ الرَّجَاءِ.. ذَوْبُ دُمُوعِي

❊ ❊ ❊

وَصَلاَةٌ تَرِفُّ بَيْنَ اللَّيَالِي
وَسُكُونٌ يَذُوْبُ ذَوبَ الخَيَالِ
وَطُيُوفٌ تَمُوجُ مَوْجَ الجَمَالِ
وَنَسِيمٌ وَخفْقَةٌ مِنْ بَلاَلِ

❊ ❊ ❊

لَمَّهَا الفَجْرُ كُلَّهَا في يَدَيْهِ
وَطَوَاهَا رُؤًى عَلَى جَفْنَيْهِ
وَصَدَى بَسْمَةٍ عَلَى شَفَتَيْهِ
وَشَذَى نَفْحَةٍ وَطِيبٍ عَلَيْهِ

❊ ❊ ❊

أيُّ نُورٍ يَشُـقُّ ظُلْمَـةَ نَفْسِي
أيُّ فَيْضٍ عَلَى مُنَـايَ وَحِسِّي
رَحْمَـةٌ مِنْ نَدَاكَ تكْشِفُ بُؤْسِي
وَنَدًى مِنْ رِضَـاكَ يُطْلِـقُ أُنْسِي

***

في دُرُوبِ الحَيَاةِ أَمْضِي وأُرْسِي
حَيْثُـمَا كُنْـتُ ... عِبْـرَةٌ وَتأسِّـي
مَوْكِبٌ سَارَ فِي مَطَـافٍ وَقُـدْسِ
حَـمَـلَ الـوَرْدَ مِنْ أَزَاهَـيْرِ عُـرْسِ

***

لَفتَـةٌ لِلْـوَرَاءِ ... ! أَيْنَ الأَمَانِي
أَيْنَ أَحْلامُـنَـا ... وَوَمَضُ الثَّوانِـي
نَتَلَقَّـاهُ خَفْقَـةً مِنْ جَنَان
وَبَقَايَا مِنْ رَعْشَةٍ وَحَنَـانِ

***

لَـهْـفَـةٌ ... ! هَلْ تُعِيْدُ شَوْقًـا نَدِيًّا !
هَلْ رَأَتْ رَوْضَـةً وَغُـصْنًـا طَرِيًّـا !
هَلْ رَأَتْ بُلْبُـلاً هُـنَـاكَ خَلِيًّـا !
غَابَ فِي أَيْـكَةٍ وَعَـادَ إِلَـيَّـا !

***

أَيْنَ أَنْدَاءُ فَرْحَةٍ ولِقَاءِ !
أَيـنَ حَسرَاتُ فُرْقَةٍ وَجَفَاءِ !
أَيْـنَ رنَّاتُ ضِحْكَـةِ الخُلصَاءِ !
أَيْنَ أَنَّـاتُ حَسْرَةٍ وَبَـلاءِ !

* * *

أَيْنَ يَا غُصْنُ لَفْتَةُ النَّسَمَاتِ !
وَعِنَاقٌ وَرِقَّـةُ اللَّـمَسَـاتِ !
وَاخْضِرَارٌ يَـرِفُّ مِنْ هَمَسَاتِ !
فَضَّ عَنْهَا إِشْرَاقَـةَ البَسَمَاتِ !

* * *

هَلْ ذَوَى ذَاكَ وَانْطَوَى كالسَّرَابِ !
جَفَّ كَالْيَأْسِ . . . كَالأَسَى . . . كَاليَبَابِ !
كَبَقَـايَا الأَشْبَـاحِ . . . وَمَضِ الشِّهَابِ !
وَتَـلاَشَى كَهَمْسَةٍ فِي عُبَابِ !

* * *

أيْنَ يَا قَصْرُ بَهْجَةُ الغُرُفَاتِ
وَشَذَى زُخْرُفٍ وطيبٍ لِدَاتِ
زُخْرُفٍ مَلَّ مِنْ يَدِ النَّحَّاتِ
وَغَفَا فِي مَجَاهِلِ الذِّكْرَيَاتِ

***

لَمْ يَنَلْ لَفْتَةً ... نَسُوهُ مَلِيًّا
وَالغَوَانِي شَغَلْنَ عَنْهُ النَّدِيَّا
والنَّعِيمُ المَنْثُورُ نَثْرًا غَنِيًّا
والثِّمَارُ انْتَشَتْ فَفَاضَتْ جَنِيًّا

***

وَصُنُوفٌ مِنَ الطَّعَامِ شَهِيَّةْ
وَأَوَانٍ تَدُورُ فِيهِ سَخِيَّةْ
وكُؤُوسٌ تَدُورُ مِثْلَ الرَّعِيَّةْ
وَرُؤُوسٌ مُخَدَّرَاتٌ غَبِيَّةْ

***

وَعَبِيدٌ هُنَاكَ ... نَهْبُ الأَوَامِرْ
كُلَّمَا أَوْمَأَتْ جُفُونٌ بِخَاطِرْ
هَبَّ في رَعْدَةٍ وَذُلٍّ صَاغِرْ
ثِقَلُ القَيْدِ وَالهَوَانُ العاثِرْ

❊ ❊ ❊

وَبَقَايَا مِنْ تُخْمَةٍ وَغُرُورِ
أُلْقِيَتْ في قُمَامَةٍ وَقُشُورِ
وَرَمُوْا بَيْنَهَا بَقَايَا ضَمِيرِ
خَلَقًا ... مِنْ نَوَازِعٍ وَشُرُورِ

❊ ❊ ❊

بَيْنَ قَاعَاتِهِ تَمُوجُ الخَطَايَا
قَهْقَهَاتٌ مَحْمُومَةٌ فِي الزَّوَايَا
تَتَلَوَّى عَلَى صُدُورِ المَرَايَا
فَضَحَتْهَا ... ! وخَلَّفَتْهَا عَرَايَا

❊ ❊ ❊

وَسُكَارَى عَلَى عُبَابِ الخُمُورِ
ونُهُودٍ وثَّابَةٍ ... وَنُحُورِ
نَزَعَتْ عَنْ غِلالَةٍ وسُتُورِ
وَهْجًا صَارِخَ الهَوَى والفُجُورِ

شَهْوَةٌ لَمْ تَزَلْ تَفُحُّ فَحِيحا
وَفِرَاشٌ يَلُمُّ هَمْسًا ذَبِيحا
فَضَّ عَنْ أَيْكَةٍ نِداءً جَرِيحا
وَطَوَى رَعْشَةً أَبَتْ أَنْ تَبُوحَا

***

وَبَقَايَا مِنَ الشُّمُوعِ النَّدِيَّه
وَالْمُرُوءَاتُ بَيْنَهَا مَطْوِيَّه
وَبَقَايَا رُجُولَةٍ مَنْسِيَّه
حَرَقَتْهَا ... وَلَمْ تَعُدْ مِنْ بَقِيَّه

***

وَالْمَرَايَا تَمُوجُ مَوْجَ الضَّمَائِرْ
كَمْ شُعَاعٍ مَضَى إِلَيْهَا عَاثِرْ
عَادَ مِنْ يَأْسِهِ شَتَيْتَ الخَوَاطِرْ
خَجِلاً ... أَنْ يكُونَ ظِلاًّ لِفَاجِرْ

***

بَيْنَ ظِلَّيْنِ : مَجْرِمٍ وَشَقِيَّة
أَغْفَيَا فِي أَسِرَّةٍ ذَهَبِيَّة
فِي فِراشٍ ... نَضَّاحَةٍ وَغَنِيَّة
لَوَّثَتْهَا حَرِيمَةٌ أَبَدِيَّة

أَعْيَتِ المِسْكَ رِيْحُهَا وَالعُطُورا
فَهْيَ مِنْ نَتْنِهَا تَعُمُّ قُصُوْرا
خَرَقَتْ سُنَّةَ الحَيَاةِ فُجُورَا
وَعَصَتْ رَبَّهَا ... فَكَانَتْ بُوْرَا

❊ ❊ ❊

أَمْسَكَ الكَأْسَ وَارْتَوَى مِنْ شَرَابِهْ
هَارِبًا مِنْ ضَيَاعِهِ وَعَذَابِهْ
قَالَ : « إِنِّي رَبٌّ » ... ، لِكُلٍّ صِحَابَهْ
وَعَبِيْدٌ هَوَتْ عَلَى أَعْتَابِهْ

❊ ❊ ❊

غَرَّهُ عُمْرُهُ ... وَوَمْضُ بُرُوقِ
وَنَعِيمٌ ... عَلَى بِسَاطٍ رَقِيْقِ
وهوًى ... مَرَّ في شِعَابِ الطَّرِيقِ
فَجَرَى خَلْفَهُ جُنُونَ المَشُوقِ

❊ ❊ ❊

كَمْ جَرَى لَاهِثًا يَحُثُّ خُطَاهُ
يَدْفَعُ الوَهْمَ عُمْرَهُ ورُؤَاهُ
وَأَمَانِيْهِ صَاغَهَا مِنْ هَوَاهُ
ضَاعَ فِي زَحْمَةٍ ... وَضَاقَتْ مُنَاهُ

ضَيِّقَ القَصرْ ظُلْمُهُ والجاهُ
وَصِحَابٌ ضَجُّوا هُنَاكَ وَتَاهُوْا
لَمْ تَعُدْ فُسْحَةٌ لِفَيْضِ هَوَاهُ
ضَيِّقَ العَيْشَ مَا جَنَتْهُ يَدَاهُ

❊ ❊ ❊

وَعَلى البَابِ أُمَّةٌ مِنْ عَبِيْدِ
وَأَمَانُ مُخَدِّرَاتُ الوُجُودِ
وَالأَعَادِيْ هُنَاكَ . . . عِنْدَ الحُدُود
وَهُنَا . . . سَيِّدٌ . . . بِقَصرٍ مَشِيْدِ

❊ ❊ ❊

وَقَضَايَا أَمَامَهُ مَنْثُورَهْ
لَمْ تكُنْ عِنْدَهُ سِوَى أُسْطُورَهْ
وَقَطِيعٌ مِنَ الجُمُوعِ الغفِيرَهْ
تَتَهَاوَىْ نُفُوسُهَا المَنْخُوْرَهْ

❊ ❊ ❊

وَأَطَلَّ «الزَّعِيْمُ» مِنْ شُرُفَاتِهْ
ثَمِلاً مِنْ هَوَاه . . . مِنْ لذّاتِهْ
لاَ يَلُمُّ الشّتَاتَ مِنْ نَظَرَاتِهْ
أَفْلَتَ الوَهْمُ مِنْهُ . . . مِنْ كَلِمَاتِهْ

قَالَ . . . « مَـهْلاً فَسُوْفَ نَـحْمِي البِـلاَدَا »
« نَبْــذُلُ » النَّفْسَ والغِنى والتِّــلاَدَا »
« وَرِيَاشًــا . . . نبنـي بـذَا أَمجْـادَا »
« ونُعِيْدُ الفِـدَا . . . وَنْـحْيِي الجهَــادَا »

* * *

« آصْبِـــرُوا بَـيْــنَ شِدَّةٍ وَمَـجَــاعَـة »
« فَدُرُوبُ الــكِفَـاحِ دُنْـيَـا قَـنَــاعَـة »
« لَمْ تَزَلْ أَضْلُعِــي لَظًــى وَضَرَاعَـة »
« ظَـمَـأٌ بَـيْـنَهَــا يَـمُــدُّ صِرَاعَـة »

* * *

« كُلُّ لَيْلي أُذِيْبُ فِـيْـه نَـهَــارِي »
« بـيــن هَذِي وَتِلْكَ أُفْرِغُ نَارِي »
« حَائِراً بَـيْــنَ زَحْمَـةٍ أَوْ إِسَـارِ »
« عَـمَلٌ دَائِبٌ بِـغَـيْرِ قَـرَارِ »

* * *

وَثَغَتْ كُلُّ نَعْجَةٍ أَوْ شَاةِ
خَدَرٌ فِي عُرُوقِهِمْ واللُّهَاةِ
وَنَقِيقٌ عَلَى ضِفَافِ الحَيَاةِ
وَضِيَاعٌ فِي قَفْرَةٍ وَفَلاَةِ

***

وَدُمًى حُرِّكَتْ وَفَيْضُ مَطَامِحْ
وَغَبَاءٌ عَلَى المَلاَمِحِ فَاضِحْ
وَنِفَاقٌ يَفُضُّ تِلْكَ المَلاَمِحْ
يَفْضَحُ النَّتْنَ مِنْ خَبِيثِ الرَّوَائِحْ

***

قَامَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَوْمَضَ عَزْمًا
مُؤْمِنٌ هَبَّ لِلَّذِي هُوَ أَسْمَى
حُبُّهُ اللهَ شَقَّ دَرْبًا وَأَدْمَى
وَرَأَى جَنَّةً وَأَبْصَرَ نُعْمَى

***

وَتَخَطَّى مِنَ القَطِيعِ رِقَابَهْ
وَتَخَطَّى ثُغَاءَه وَرِغَابَهْ
وَمَضَى يَدْفَعُ الخُطا وَثَّابَهْ
يَقْرَعُ المَجْدَ ... أَوْ يُفَتِّحُ بَابَهْ

***

سَيِّدَ القَصرْ..! هَلْ رأيْتَ البُطُونَا
ضَامِراتٍ ... وَهَلْ رَأَيْتَ الجُفُونَا !
جُدْ عَلَيْهَا بِقَطْرَةٍ كَيْ تُعِينَا !
صَبْرَهَا ... أَوْ جِهَادَهَا المَيْمُونَا !

***

سَيِّدَ القَصرْ ... ! هَلْ لَدَيْنَا سِلاَحُ
لِنَصُدَّ الْعِدَى ... وَتَشْفى الجِرَاحُ
كَمْ رَوَابٍ ... وَمَنْزِلٍ يُسْتَبَاحُ
وَرِجَالٍ صِيْدٍ طَوَتْهُمْ بِطَاحُ

***

كَمْ رَضِيعٍ بَكَتْ عَلَيْهِ رُبَاهُ
قَتَلَ الجُوعُ أُمَّهُ وَأَبَاهُ
مَا انْحَنَتْ للصِّعَابِ مِنْهُمْ جِبَاهُ
وَمَضَوْا . . . والصَّدَى مَضَى : « رَبَّاهُ »

* * *

« سَيِّدَ القَصْرِ . . . ! خَيَّمَ الجَهْلُ فِيْنَا »
« هَلَ لنا مِنْ مَعَاهِدٍ تُؤْوِيْنَا »
« نَعْرِفَ اللهَ عِنْدَهَا واليَقِيْنَا »
« نَعْرِفُ الحقَّ . . . والهُدَى . . . وَالدِّينَا »

* * *

« أَيْنَ ثَرْواتُنا .... وَأَيْنَ المصَانِعْ »
« أَيْنَ رُوحُ الإِيْمَانِ يَبْنِي . . . يُقَارِعْ »
« أَيْنَ مَنْ لاَ يَرَى البِلاَدَ مَنَافِعْ »
« كَمْ فَتًى مَيِّتٍ . . . وكَمْ مِنْ ضَائِعْ »

* * *

« كَمْ عَدُوٍّ نَرَاهُ يَحْكُمُ فِينَا »
« مَلَكَ الأَمْرَ كُلَّهُ وَالبَنِينَا »
« إِنْ رَآهُ « الزَّعِيْمُ » أَحْنَى الجَبِيْنَا »
والسَّوادُ اللاهي يَقُلْ: « آمينا »

❊ ❊ ❊

رَجَفَتْ مِنْهُ كَفُّهُ والجُفُونُ
رَجَفَتْ مِنْهُ سَاقُهُ والعُيُونُ
قَتَلَ الخَوْفُ نَفْسَهُ والظُّنُونُ

وَمَضَى سائلاً :

« تُرَى مَنْ يَكُوْنُ »
« مَنْ وَرَاءَ الفَتَى . . . وَأَيْنَ العيُونُ »
« أَيُّ شَيْءٍ يَقُوْلُهُ المأفُونُ »
« اقْتُلُوْهُ . . . فَإِنَّهُ مَجْنُونُ »
« إذبَحُوهُ . . . وَهَذِهِ السِّكِيْنُ »

❊ ❊ ❊

وَهُنَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الشِّيَاهُ
والدُّمَى أَيَّدَتْ لَهُمْ فَتْوَاهُ
لَعَنُوهُ ... ومَزَّقُوا دَعْوَاهُ
وَالصَّدَى مِنْ أَنِيْنِهِ : « رَبَّاهُ »

❊ ❊ ❊

أَيُّ « كُوْخٍ » بجَانِبِ القَصرْ قَامَا
هَادِئاً ... أسكَنَ الهَوَى والغَرَاما
بينَ زوجَينْ لَمْ يَذُوقَا حَرَامَا
مُطْمَئِنَّيْنِ ... أَيْقَنَا ... فَاسْتَقَامَا

❊ ❊ ❊

لَمْ يكُنْ فيْه غَيْرُ خِدْرٍ صَغِيْرِ
وَسَّعَتْهُ رَحَابَةٌ مِنْ ضَمِيْرِ
لِطَعَامٍ وَمَجْلِسٍ وَسَرِيرِ
مَنَحتْهُ نَدَاوَةً مِنْ عُطُورِ

❊ ❊ ❊

أيُّ ضَوْءٍ حَنَا ضُحًى وَعَشِيَّا
وَشُعَاعٍ رآهُ مَغْنًى نَدِيَّا
وَدُجًى كَمْ كَسَاهُ مِنْهُ حِلِيًّا
فَوَّحَ العِطْرُ مِنْ نَدَاهُ زَكِيَّا

❊ ❊ ❊

أشْرَقَ الكُوخُ بَسْمَةً مِنْ ضِيَاءِ
مِنْ صَبِيٍّ وَمِنْ رَفِيْفِ الهَنَاءِ
وَفَتَاةٍ تَلُفُّ ثَوْبَ الحَيَاءِ
وَرِدَاءَ التُّقَى وَزَهْوَ الإِبَاءِ

❊ ❊ ❊

كَمْ قَضَى يَوْمَهُ يَكُدُّ وَيَسْعَى
وَالِدٌ يَجْمَعُ القُلُوبَ وَيَرْعَى
يَجْمَعُ القُوْتَ ، يَذْرَعُ الأَرْضَ ذَرْعَا
يَغْرِسُ العَزْمَ ، يُنْبِتُ الأَرْضَ زَرْعَا

❊ ❊ ❊

كَمْ سَقَاهَـا جَبِيْنُـهُ وَرَوَاهَـا
وَجَنَا مِنْ غِرَاسِـهِ وَرَعَاهَـا
بَارَكَ اللهَ مَا حَبَتْـهُ رُبَـاهَـا
فَزَكَا غَـرْسُـهُ وَطَـابَ جنَاهَـا

❊ ❊ ❊

بَلَّلَ الأُفْـقَ مِنْ رُوَاءِ جَبِيْـنِـهْ
سكَبَتْـهُ عُـرُوقُـهُ بِيَمِيْـنِـهْ
نَـثَـرَ القَـطْـرَ فِي دُرُوب حَنِيْـنِـهْ
فإذا بالهَـجِيْـرِ بَرْدُ يَقِـيْـنِـهْ

❊ ❊ ❊

كُلَّمَا أَوْقَـدَ الهَـجِيْـرُ لَـظَـاهُ
حَـفَّـهُ بِالظِـلاَلِ طُـهْـرُ خُطَاهُ
وَسَقَـاهُ النَّدى . . . . وَرَطَّبَ فاهُ
ذِكْرُهُ اللهِ . . . لمَّ فيْضَ هُدَاهُ

❊ ❊ ❊

أُمْنِيَـاتٌ تَفِيْضُ مِنْ إِيْـمَانِهْ
لَيْسَ مِنْ وَهْمِـهِ وَغِرَّةِ شَأْنِـهْ
هِيَ مِنْ صِدْقِـهِ وَمِــنْ إِحْسَانِـهْ
زَهَــرَتْ بَيْنَ أَمْنِهِ وَأَمَانِـهْ

❊ ❊ ❊

كُـلَّـمَا عَادَ مؤْرِقَ الأَمْسِيَـاتِ
لَقِيَتْــهُ نَضَــارَةُ البُشْرَيَاتِ
بَسْـمَــةٌ أَشْرَقَــتْ عَلَى القَسَـمَاتِ
نَفَحَـتْـهَــا طَهَـارَةُ اللَّفَتَاتِ

❊ ❊ ❊

مَـدَّ فِيْ كُوْخِــهِ عَلَى أَبْنَائِـهْ
كِسْرَةَ الخُـبْـزِ أَوْ يَسِيْــرَ غِذَائِهْ
طَعِمُـوْا . . . وارْتَــوُوْا . . . هَنِــيءَ بَلاَئِهْ
وَجَــرَى الحَـمْـدُ لَيِّـنًـا بِدُعَـائِـهْ

❊ ❊ ❊

وَانْطَــوُوْا مُبْــكِرِينَ بَـعْـدَ الصَّلاَةِ
فِيْ رُقَــادٍ وَهَـدْأَةٍ وَسُبَات
رَفْرَفَــتْ بَيْنَهُــمْ شفُــوفُ التُّقَـاةِ
نَاعِمِــيْ البَــالِ . . . طَيِّبِــيّ الأُمنيَـاتِ

* * *

هَبَّ مِنْ لَيْلِــهِ .... ! جَفَتْــهُ المَضَاجعْ
وَدَعَــاهُ نِداءُ قَلْــبٍ خَاشِعْ
وَطَيُوفٌ . . . . عَلَى الجُفُــوْنِ الدَّوَامِعْ
رَعَشَــاتٌ مِنَ الأَكُفِّ الضَّوَارِعْ

* * *

قَـدْ صَـفَـا القَـلْـبُ ، مَا رَأَى فِيْهِ حِقْدا
وَخَــلاَ مِنْ هَوًى وَأَقْبَــلَ زُهْـدَا
تَرك النَّــاسَ . . . !كَـيْ يَرَى مَا أَعَدَّا
لِــيَرَى نَفْسَــهُ . . . ! رَأَى الأَمْــرَ جِـدًّا

* * *

غَنِيَتْ أَنْفُسٌ وَلاَنَتْ قُلُوبُ
وَدُعَاءٌ مَعَ الضُّلُوعِ يَذُوبُ
وَأَكُفٌّ تَمُوجُ . . . ! ، دَمْعٌ . . . ! ، وَجِيبُ !
وَطُيُوفٌ تَلُمُّهُنَّ الغُيُوبُ

❋ ❋ ❋

رَبَّنَا . . . ! سَبَّحَتْ لَكَ الفَلَوَاتُ
وَأَقَاصِي الأَعْمَاقِ والظُّلُمَاتُ
وَالحصى . . . ! والرِّمَالُ . . . ! والرَّبَوَاتُ
وَرَفِيفُ الغُصُونِ . . . ! والزَّهَرَاتُ

❋ ❋ ❋

وَنِدَاءُ الطُّيُورِ . . . ! والوُكُنَاتُ
وَهَدِيلُ الحَمَامِ . . . ! والهَمَسَاتُ
وَحَنَايَا الضَّمِيرْ . . . ! والنَّظَرَاتُ
مَوْكِبٌ رَفْرَفَتْ بِهِ الآيَاتُ

❋ ❋ ❋

رَبَّنَـــا . . . ! مِنْ يَدَيْكَ فَاضَ النَّعِيْمُ
والهُــدَى مِنْــكَ ، والحَنَــانُ الرَّحِيْـمُ
وَزَكَاةُ النُّفُــوسِ مِنْــكَ تَـقُـومُ
وَاهِـــبٌ . . . قَادِرٌ . . . عَزِيْزٌ كَرِيْمُ

***

قَصَّرَتْ . رَبَّنَــا ـ العَزِيْـمَــةُ مِنَّا
وَالتَــوَتْ أَنْفُسٌ عَلَى الــدَّرْبِ وَهْنَا
وَرَمَاهَــا الهَــوَى وَأَفْقَــدَ أَمْـنَا
غَرِقتْ فِي ظَلاَمِهَــا تَـتَـمَـنَّى

***

وَمَضَى اللَّيْـلُ فِي صَدَى دَعَوَاتِـهْ
وَالنُّجُــومُ ، الــزَّهْـرَاءُ رَعْشَـةُ ذَاتِـهْ
وَنَسِيْمٌ غَـفَــا عَلَى عَبَرَاتِـهْ
وَصَـحَــا . . . ! يَنْشُــرُ النَّــدَى عَلَى رَبَوَاتِـهْ

***

يَلْـمَسُ الأُفْـقَ في هَوًى وَحَنِـيـنِ
يُوقِـظُ النُّــوْرَ مِنْ مَرَاقِـدِ لِـيْـنِ
يُوْقِــظُ الزَّهْــرَ مِنْ دلاَل جُفُون
يُوْقِــظُ العِطْــرَ فِي مَرَابِــعَ غِينْ

❊ ❊ ❊

مَوْكِبُ الفَـجْــرِ فَضَّ مِنْ أَلْـحَانِـهْ
رَجَّـعَتْهَــا الرُّبَا شَـذَى أَلْـوَانِـهْ
حَائِــرَات ... ! تَعَثَّــرَتْ بِجِنانِه
فَإِذَا هُــنَّ عَبْقَــرِيٌّ بَيَانِـهْ

❊ ❊ ❊

وَمَضَى ... وَاليَقِــينُ يَنْشُرُ آيــا
وَيَلُــمُّ النَّـدَى ... وَفَيْضَ العَطَايَا
هَا هُنَــا ... أَوْ هُنَــا يَشُــدُّ المَطَـايـا
دَاعِيًا ... لاَ يَهَــابُ خَـطْفَ المَنَايـا

❊ ❊ ❊

لَيْسَ لِلخُبْزِ وَحْدَهُ كَانَ يَسْعَى
دَعْوَةٌ تَدْفَعُ العَزِيمَةَ دَفْعًا
دَعْوَةُ اللهِ ... تَقْرَعُ النَّاسَ قَرْعًا
وَهُدًى يَمْلأُ النُّفُوسَ وَيَرْعَى

***

كَمْ تَمَلَّى نَدَاوَةَ القُرْآنِ
وَرَعَى سُنَّةً وَصِدْقَ بَيَانِ
وَرَأَى أُمَّةً ... وَذُلَّ هَوَانِ
فَمَضَى فِي مَوَاكِبِ الإِيمَانِ

***

ذَاتَ يَوْمٍ تَلَبَّثُوا .... لإِيَابِهْ
وَشَكَتْ زَوْجُهُ طَوِيلَ غِيَابِهْ
وَبَنُوهُ .... وَعُصْبَةٌ مِنْ صِحَابِهْ
وَحَنِينُ الظِّلاَلِ ... فِي مَحْرَابِهْ

***

وَهَـوَى لَيْلِـه ... وَخِفْـقُ دُعَائِهْ
وَطُيُوفٌ تَـمُـوجُ فِي أَرْجَائِـهْ
حَائِرَاتٍ يَسْأَلْنَ عَنْ أَنْبَائِـهْ
عَصَرَ الشَّـوْقُ دَمْعَةً لِلِقَائِـهْ

❊ ❊ ❊

وَإِذَا أُمَّةٌ .... وَظِـلُّ مَصَائِبْ
حَمَلَ الجُثَّةَ النَّدِيَّةَ صَاحِبْ
بَيْنَ عَبْرَاتِـهِ ... نَجِيُّ مَوَاكِبْ
بَيْنَ أَنَّـاتِـهِ ـــ دَوِيُّ كَتَائِبْ

❊ ❊ ❊

أَبَتَاهُ ... ! وَغَيَّبَتْهَا المَدَامِعْ
إِيْـهِ زَوْجَاهُ ... ! لَوْعَـةٌ وَفَوَاجِعْ
وَأَحَاطُـوهُ بِالقُلُـوبِ الخَوَاشِعْ
وَأَسًى رَاجِفٍ وَخَفْقٍ ضَارِعْ

❊ ❊ ❊

وَبَقَايَا إِشْرَاقَةٍ وَابْتِسَام
تَتَهَاوَى عَلَى أَنِينٍ دَامِيْ
وَعَلَى غُصَّةٍ وَدَمْعٍ هَامِي
وَتَهَاوَتْ بَقِيَّةُ الأَحْلاَمِ

❊ ❊ ❊

قَتَلُوهُ . . . ! فَمَنْ هُمُ . . . ؟ قَتَلُوهُ !
الأعادي هُنَاكَ . . . هَلْ صَرَعُوهُ ؟
اليَهُودُ الغُزَاةُ . . . هَلْ طَعَنُوهُ ؟
أيُّ مَسْتَعْمِرٍ . . . ؟ وَأَيْنَ ذَوُوهْ ؟

❊ ❊ ❊

وَأَجَابَ الفَتَى . . . وَضَمَّ جِرَاحَهْ
أَهْلُهُ . . . مَزَّقُوا . . . هُمُ أَفْرَاحَهْ
طَعَنُوهْ . . . وَفَجَّرُوا أَتْرَاحَهْ
وَأَسَالُوا جِرَاحَهُ النَّضَّاحَة

❊ ❊ ❊

وَثُغَـاءُ القَـطِيعِ وَهْـوَ يُسَاقُ
وَرُؤًى حَاكَهَـا الهَـوَى والنِّفَـاقُ
وَ « صَغِيْرٌ » وَعِصبَـةٌ وَرِفَـاقُ
رَكِبُوهَـا جَرِيْمَـةً لاَ تُـطَاقُ

أَهْـلُهُ . . . ! جَارُهُ . . . ! وَذَاكَ القَرِيْـبُ !
مَزَّقُوْهَـا عُرًى . . . ! فَأَيْنَ اللبيبُ . . !
رَحِـمٌ مَزَّقُـوْه . . . ! وَهُـوَ نَجِيْبُ !
أَنسُـوا أَنَّـمَا عَلَيْهِـمْ رَقِيْبُ !

❊ ❊ ❊

كَيْفَ تُرعَـى لَنَـا إِذَنْ حُرُمَاتُ
حِـينَ يَقْضِي عَلَى البَنِينِ الرُّعَاةُ
مَنْ تَوَلُّـوا عَنِ العَقِيْدَةِ مَاتُوْا
وَطَوَتْهُـمْ بِغَيِّـهِمْ ظُلُـمَاتُ

❊ ❊ ❊

عَجَبًا كَيْفَ قُطِّعَتْ أَرْحَامُ
وَغَشَى أَعْيُنَ الوَرَى إِظْلاَمُ
وَالهَوَى سَيِّدٌ يَدَاهُ زِمَامُ
وانْطَوَتْ بَيْنَنَا قَنًا وَحُسَامُ

❊ ❊ ❊

هَوِّنِي ... أَحْسِنِي بِرَبِّكِ ظَنَّا
مَا قَضَى مَنْ مَضَى وَأَوْرَثَ يُمْنَا
وَرَوَى الحقَّ مِنْ دِمَاهُ وَأَغْنَى
وَمَضَى للجِنَانُ يطْلُبُ حُسْنَى

❊ ❊ ❊

فَسَتَمْضِي عَلَى الطَّرِيقِ الكَتَائِبْ
تَمْلأُ الأُفْقَ مِنْ نَدِيٍّ المَوَاكِبْ
مِنْ شَهِيدٍ تَخَطَّفَتْهُ القَوَاضِبْ
فَأَضَاءَتْ مِنَ النُّفُوسِ الغَيَاهِبْ

❊ ❊ ❊

كَفِّنُوهُ مُلاءَةً مِنْ كُبُودِ
وَانْسُجُوا مِنْ دَمٍ غَنِيٍّ البُرُودِ
وَانْثُرُوا فَوْقَهُ زَكِيّ الوُرُوْدِ
واسْكُبُوا مِنْ حَنَانِهِ المَعْهُودِ
وَأَحِيطُوا جُثْمَانَهُ بالخُدُودِ
بالرَّيَاحِينِ . . . بالنَّدَى . . . بالجُوْدِ
أَنْزِلُوهُ عَلَى أَكُفٍّ الصَّيْدِ
مَنْزِلاً شِيْدَ مِنْ طَهُوْرِ المُهُودِ
أَنْزِلُوهُ مَعَ الدُّعَاءِ الرَّشِيْدِ
وَرَجَاءٍ يُلِحُّ بالتَّرْدِيْدِ
وَصَدَى لَيْلِهِ وَخَفْقِ سُجُودِ
أَنْ نَرَى رَمْسَهُ نَدِيَّ شَهِيْدِ
رَوْضَةً أَزْهَرَتْ بِنَفْحِ خُلُودِ
بَلِّلُوهُ بِدَمْعَةِ المَفْؤُوْدِ
وَانْثُرُوا الطِّيْبَ مِنْ زُهُورٍ وَعُوْدِ
وَظِلالاً مِنَ الهَوَى المَمْدُودِ
وَنَسِيماً نَدَاهُ رَفُّ العُهُودِ
وَغُصُونَاً تَحْنُو حُنُوَّ العَمِيْدِ
وَأَحِيطُوهُ بِالْقَنَا وَالبُنُودِ
وَنِدَاءٍ مُرَجَّعٍ وَنَشِيْدِ

وَمَضَتْ خَطْوَةٌ وَظِلٌّ شَبَابِ
وَدُمُوعٌ مِنَ الفَتَاةِ الكَعَابِ
وَحَنَانٌ يَمُوجُ بَيْنَ الضَّبَابِ
بَيْنَ نَجْوَى أُمُومَةٍ وَاضْطِرَابِ

***

لَمْ تكَدْ تَخْتَفِي الخُطا مِنْ إِيَابِ
فإذَا صَرْخَةٌ هُنَاكَ بِبَابِ
وَعَبِيْدٌ تَرْمِي حُطَامَ رِغابِ
سَيِّدٌ صَارَ نُهْبَةً للذِّئَابِ

***

فِي حَنَايَا حَفِيرةٍ وتُرابِ
طَرَحُوهُ . . . صَرِيْعَ كَأْسِ شَرَابِ
وَهَوى لَذَّةٍ وَمُتْعَةَ صَابِي
وَرَمَوْا فِيْهِ قِطْعَةً مِنَ عَذَابِ

***

وَطَــوَاهُ   الثَّــرَى   وَوَحْشَــةُ   رَمْسِ
لَمْ   تُرَافِقْــهُ   مِنْ   مَلاَعِــبِ   أَمْسِ
غَـيْـرُ صَـمْـتٍ مِنَ التُّـرَابِ وَطَـمْسِ
وَحْشَــةٌ   لَمْ   تَـجِـدْ   بَقِيَّـةَ   أُنْـسِ

***

هَا   هُـنَـا   . . .   قَـدْ   تَجَـاوَرَ   القَـبْرَانِ
لَيْسَ   مِنْ   سَيِّـدٍ   وآخَـرَ   عَانِي
فَـهُـمَا   . . .   فِي   عَدَالَـةِ   المِيْـزَانِ
عَـنْـدَ   رَبٍّ   العِبَـادِ   وَالأَكْـوَانِ
عِـنْـدَ   آيَاتِ   قَادِرٍ   رَحْـمَـانِ
أَيُّ   قَصرٍ   يُـجْـدِي   وَأَيُّ   حِسَانِ
أَيُّ   مَالٍ   . . .   وَأَيُّ   رِفْـعَـةِ   شَـانِ
وَانْــزَوَتْ   عَنْـهُ   رَعْشَــةُ   العُـبْدَانِ
وَانْــزَوَتْ   زَحْـمَـةُ   النِّفَـاقِ   الجَـبَانِ
والأَمَانِــي   وَشَـهْـوَةُ   السُّلْطَانِ
والمَرَايَا   مَـحْمُومَـةُ   اللَّـمَعَـانِ

وكُؤُوسٌ ... وقَـاعَـةٌ ... وأَواني
وَفِـراشٌ ... ولَـهْـفَـةٌ ... وَغوَاني
طُوِيَتْ كُلُّـهَـا حنايـا ثوَانِي
وَعلى خِرْقَـةٍ مِـنَ الأَكْـفَـانِ
طُوِيَتْ بَـيْـنَ حُـفْـرَةٍ وَهَـوَانِ
طُوِيَتْ في غَيَابَـةِ النِّـسْـيَانِ
ولَهَـا بَـعْـدَ ذَاكَ نَشْرٌ ثَانِـي
عَـجَـبًـا ... مِنْ طَوَارِقِ الحَدَثَـانِ
عَـجَبًـا كَـمْ مَضَـتْ عَلَى الأَزْمَانِ
مِنْ عِـظَـاتٍ مَاتَـتْ عَلَى الآذَانِ
عِـبَـرٌ ... كَمْ مَضَـتْ بِكُلِّ بَـيَـانِ
وَتَلاشَـتْ عَلَى هَـوًى وَهَـوَانِ

***

٢٠/٦/١٣٩٨

٢٧/٥/١٩٧٨

كانت أُمَّة واحدة . . . أمَّةً عظيمة يجمعها دين واحد . . . دين عظيم . . . دين الإسلام فتفرَّقت على لهو وشتات فهل من عودة ؟

عَرائِسُ المجْد

عُوْدِي لِمَغْنَاكِ فِي السَّاحَاتِ وارْتَقِبي
عَرَائِس المَجْدِ . . . ! خَفْقَ النَّصْلِ والقُضُبِ
هُنَا حِمَاكِ الَّذِي خَلَّفْتِهِ زَمَنًا
يهيجُهُ مِنْكَ عِطْرُ الشَّوْقِ وَالنَّسَبِ
خَلَّفْتِهِ . . . وَلَيَالِي العُرْسِ زَاهِرَةٌ
وَنَشْوَةُ العِزِّ فِي صَفْوٍ وَفِي طَرَبِ
تَخَيَّرَتْ لَكِ مِنْ أَحْلاَمِهَا دُرَرًا
وَمِنْ أَمَانِي التُّقَى مُوْشِيَّةَ القُشُبِ
وكُلُّ جَوْهَرَةٍ فِي تَاجِكِ ائتَلَقَتْ
فَرِيْدَةَ الدَّهْرِ أَوْ بِكْرًا مِنَ الأَرَبِ
عَلَى الجُفُونِ رَجَاءٌ غَيْرُ مُنْهَزِمٍ
وَفِي مُحَيَّاكِ عَزْمٌ غَيْرُ مُضطرِبِ

وَفِي حَنَـايَاكِ آمَـالٌ يَـمُـوجُ بِهَا
عَلَى هُدَى الحَـقِّ صِدْقُ الظَّـنِّ والرَّغَبِ

***

عُوْدِي لِمَغْنَـاكِ مَا زَالَـتْ غَرَائِسُهُ
تَـمُـدُّ مِنْ ظِلِّهَـا أَوْ عُوْدِهَـا الرَّطِبِ
وَلَـمْ تَزَلْ مِنْ لَيَالِي العُـرْسِ شُعْلَتُهَا
تُضِيءُ مِنْ وَهْدَةٍ أَوْ ظُلْمَةِ الشُّعَبِ
وَفِي المَيَادِيْنِ فُرْسَـانٌ سُرُوجُهُمُ
عَلَى الضَّوَامِـرِ شَوْقُ الفِتْيَةِ النُّجُبِ
هُنَـا حِمَاكِ ... فَعُـودِي إِنَّ لَـهْفَتَهُ
إلى اللِّقَـا خَفْقَـةُ الأَجْيَالِ والحِقَبِ
هُنَـا المَيَادِينُ .... أَصْـدَاءُ الفُتُـوحِ بِهَا
مَـوْجٌ بِكُلِّ نَدِيِّ السَّـاحِ مُخْتَضِبِ
هُنَـا الدِّمَـاءُ الَتـي سالـت مُرَنِّـحَةً
للهِ خَالِصَـةً فِي اللهِ لَمْ تُرِبِ
كَمْ عَطَّـرَتْ مِنْ شَذَى الإِيْـمَانِ رَابِيَةً
وَمِـنْ عَبِـيْـرٍ عَلَى السَّاحَـاتِ مُنْسكِبِ
هُـنَاالنُّبُـوَّةُ ... ! مَغْنَـاكِ الَّـذي عَبَقَتْ
فِـيْـهِ النُّبُـوَّةُ أَغْنَـى كُلَّ مُنْسَرِبِ

وَمِـنْ طُيُوفِ الهُـدَى جِبْـرِيْلُ يَـخْفِـقُ في
وَحْــيٍ وَيَـهْتِفُ بالآيَاتِ والرَّهَـبِ
مَا مَسَّ حانِيَةً إلاَّ وَقَـدْ عَبَقَـتْ
بطِيْبِــهِ نَائِيَاتُ البِيْدِ والهَضَبِ
يَفِيْضُ بالنُّــورِ يَـغْشَى كُلَّ نَاحِيَةٍ
يَشُــقُّ مِنْ ظُلْمَــةٍ يرْمِــي مِنَ الحُـجُبِ
يُزِيْحُ عَنْكِ رُكَامَ الجَـاهِلِيَّةِ مِنْ
ظُلْــمٍ وَمِــنْ فِتْنَــةٍ عَـمْـيَاءَ ، مِنْ كَذِبِ
طِيبِــي رمَــالاً على الصَّحْــرَاءِ قَدْ مَزَجَتْ
نُــوْرًا مِنَ الوحْــيِ مَزْجًــا بالدَّمِ السرِبِ
حَتَّــى تأَلَّقْــتِ حُبًّــا . . . ! كُلُّ لُؤْلُؤَةٍ
نُــوْرٌ وَعِطْــرٌ فَيَا للمَـنْظَـرِ العَـجَبِ
تِيهِــي رِمَــالَ الصَّحَــارى لا أرى شَرَفًا
أَعَــزَّ أَوْ رُتْبَــةً أَعْلَى مِنَ الرُّتَبِ
لا تَفْــزُعَنَّــكِ أَشْــواكٌ بِرَوْضَتِهِ
سَيَـخْضُـدُ الشَّـوْكَ زَحْفُ الفـارِسِ الضَّرِبِ
ولاَ الأَفَاعِــي إذا فَحَّتْ بِسَاحَتِهِ
عَلَىَ البَــوَاتِـرِ قَـطْعُ الــرأْسِ والذَّنَبِ

***

هُنَـا رُبَـى مَـكَّةٍ طَافَ الرَّسُـولُ بِهَا
عَلَى هُدَى الوحْـيِ في صَـحْـبٍ وفي عُصَبِ
يَطُـوفُ بِالبَيْتِ والرَّحْمَـنُ يَـحْرُسُهُ
وَحَوْلَـهُ مِنْ جُنُـودِ الحَـقِّ كُلُّ أَبِي
تَـهْـوِي إلى الأَرْضِ أَصْنَـامٌ مُـحَطَّـمَةٌ
عَلَى المَطَـارِقِ فِي ذُلٍّ وَفِي رُعُبِ
حَنَـتْ عَلَى الخِـزْيِ هَامَـاتٍ مُلَطَّخَةً
كُلُّ الطَّـواغِيْتِ مِنْ وَهْـنٍ وَمِـنْ نَصَبِ
وَدَعْـوَةٌ لَمْ تَزَلْ تَبْنِـي وَتَعْـمُرُ مِنْ
قَلْـبٍ وَتَنْشُـدُ فِي الآفَـاقِ مِنْ أَرَبِ
عَلَى خُطَـى هِـجْرَةٍ للهِ صَادِقَةٍ
تَـمُـدُّ فِي الدَّهْـرِ زَهْـوَ الفَـوْزِ والغَلَبِ
لِطِيْبَـةٍ وَبَنُـو الأَنْصَـارِ قَدْ فَتَـحَـتْ
قُلُوبَـهَـا لِضِيَاءٍ مُقْبِلٍ وَنَبِيّ
وَجَـرَّدَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ مُقْبِلَةً
عَلَى الجِنَـانِ سُيُوفَ النَّصرِ مِنْ قُرُبِ
رَوَّتْ «بِبَـدْرٍ» رِمَـالاً زَادَهَـا أَلَقًا
جُنْـدٌ مِنَ اللهِ فِي خَفَّاقَـةِ السُّحُبِ
ولَـمْ تَدَعْ « أُحُـدًا » إِلاَّ وَقَـدْ جَعَلَتْ
فِيهِ شَهَـادَةَ صِدْقٍ غَايَةَ الطَّلَبِ

هُنَــالِكَ النَّصرُ..! في مَيْدَانِــهِ فُتِحَتْ
إلى الهُــدَى سُبُــلٌ لَوْلاهُ لَمْ تُصَبِ
مَوَاكِبُ رَفَعَــتْ فِي كُلِّ مَعرَكَةٍ
رايَاتِهَــا خَافِقَــاتِ العُــوْدِ وَالعذَبِ
تَـمْضِي مَعَ الدَّهْــرِ والقُــرْآنُ يَنْشُرُ مِنْ
ظِــلٍّ عَلَيْهَــا نَدِيٍّ وَارِفٍ رَحِبِ
يَصُوْغُـهَــا الحَـقُّ بُنْيَانًــا عَلَى سُنَنٍ
وَآيَةٍ مِنْ كِتَــابِ اللهِ لَمْ يُرِبِ
جَرَى مَعَ الــدَّمِ فِي أَوْصَالِهَــا فِطَرًا
نَقِيَّةً فَتَلَقَّــتْ صَفْــوَةَ الكُتُبِ
مَا شَابَــهُ مِنْ غُثَــاءِ النَّــاسِ شَائِبَةٌ
وَلاَ ضَلاَلُ الهَــوَى أَوْ فِتْنَــةُ الرِّيَبِ
نَبْعًــا يُرَوِّي مِنَ الأَيَّامِ مُـجْدِبَـهَا
وَيَزْرَعُ الخَـيْـرَ فِي وادٍ وفي رَحَبِ

***

أَرْضَ الجَــزِيرَةِ كَمْ أَنْبَــتِّ مكرُمَةً
عَلَى رِمَــالِكِ كَمْ أَوْصَلْــتِ مِنْ سَبَبِ
هَذِي الــرِّيَاضُ فَكَمْ دَوَّتْ مَنَازِلُهَا
بِـمَـعْـرَكٍ فِي سبيل اللهِ لَمْ يَـخِـبِ

قَضَـــتْ عَلَى فِتْنَـــةٍ هَوْجَـــاءَ فانْدَحَرَت
مُـــولِّيَات فُلُـــولُ الشِّرْكِ والكَذِبِ
وَرِدَّةٍ ردَّهـــا الرَّحْمَـــان خائبةً
وَصَـــدَّعَ الله مِنْ بُنْيَانِهَـــا الخَرِبِ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ذِكْرَى مُعَطَّرَةٌ
نَـــدِيَّةٌ تَرْتَـــوِي بالمَـــنْهَـــلِ العَذِبِ

***

عَرَائِسَ المَـجْـــدِ . . . ! عُوْدِي كُلُّ حَانِيَةٍ
أَضْـحَـتْ بِذِكْرَاكِ مَغْنَـى المنـــزِلِ الخِصَبِ
عُوْدِي فَـمَـعْنَـــاكِ رُيَّانٌ عَلَى وَصَبِ
مِـــنَ الهَـــوَى شَيِّقِ الأَكْنَـافِ والكُثُـبِ
وكُلُّ صَادِقَـــةٍ مِنْ حَوْلِهَـــا انْطَلَقَتْ
تُعِيْدُ مِنْ عُرْوَةِ الإِيْـمَانِ والنَّسَبِ
لَوْلاَ الهُـــدَى جَفَّـــت السَّاحَـــاتُ وانطَفَأَتْ
بِـهَـــا الـــلآلِىءُ بَـيْـنَ الفَـقْـرِ والجَـدَبِ

***

تَلَفَّتِي . . . يَا رِمَالَ البِيدِ . . . ! كَمْ طَلَعَـــتْ
مَـــعَ اللَّيَالِي حُشُـــودُ الـــكَرْبِ والنُّوَبِ

أَنَّــى تَلَفَّــتِّ أَحْبَــالٌ مُقَطَّعَــةٌ
وَرِدَّةٌ عَنْ سَبيلِ اللهِ لَمْ تَثُبِ
عَوَّتْ ذِئابٌ وَمَدَّتْ من مخالبها
مُدَمّيات من الأشلاء والحَرَبِ
عَدَوا عَلَىَ المَسْجِـدِ الأَقْصَى بغَائِلَةٍ
مِــنَ الخِــدَاعِ وَمَــكْرٍ عَنْــهُ «مُنْتَدَبِ»
يُصَــدِّعُ الشَّرْقَ طَرْقًــا مِنْ مكَائِدِهِ
بِــكُلِّ دَاهِيَةٍ مَـجْنُونَــةِ اللَّهَــبِ
وَالنَّــاسُ بَيْــنَ سُكَارَى أَوْ عَبِيْدِ هَوًى
عَلَىَ حُطَــامٍ مِنَ الأَهْــوَاءِ والرَّغَبِ
كَأَنَّــمَا الشَّرْقُ أَبْــوَابٌ مُفَتَّــحَةٌ
أَوْ أَنَّ سُــمْــرَ القَنَــا أَضْــحَــتْ مِنَ الغرَبِ
مَدَافِــعُ القَــوْمِ صَوْتٌ لاَ لَهِيبَ لَهُ
وَمَدْفَــعُ الكُفْــرِ نَارُ المَوْتِ والعَطَبِ
رُدّي رُبَــى «النِّيل» هل في الدار نائِحَةٌ
أَمْ أَنَّ هَذِي لَيَالي الأُنْسِ والطَرَبِ
وَيَا «فُــرَاتُ» فَهَــلْ نَاجَيْتَ شَارِدَةً
مِــنَ الحَمَائِــمِ عَنْ غُصْــنٍ لَهَــا رَطِبِ
أَلُــمُّ عَنْ «بَــرَدَى» ذِكْرَى لَعَــلَّ بهَا
زَحْفًــا إلى المَوْتِ يَـمْضِي غَـيْـرَ مُنْسَحِبِ

عَلَى ضِفَافِكَ يَا أُرْدُنُّ هَلْ طَلَعَتْ
عَلَى المُصَابِ رُؤًى في المَوْقِفِ الحَزِبِ
أَنَّى تَلَفَّتُّ في دَارِي وَجَدْتُ بِهَا
بَيْنَ السَّوَادِ نَشِيْدًا غَيْرَ مُكْتَئِبِ
حَتَّى كَأَنَّ الأَسَى أَضْحَى بِهَا عُرُسًا
أَوْ نَشْوَةُ اللَّهْوِ قَدْ أَعْمَتْ عَنِ النُّوَبِ
أَيُّ الإِذَاعَاتِ لَمْ تُطْلِقْ أَغَانِيَهَا
مُوَشَّيَاتٍ عَلَى لَحْنٍ لَهَا عَذِبِ
وَكُلُّ غَانِيَةٍ أَغْفَتْ عَلَى سُرُرٍ
وَأَطْبَقَتْ مِنْ جُفُونِ الشَّوْقِ والهُدُبِ
وَحَوْلَهَا مِنْ دُفُوفِ اللَّهْوِ سادِرَةٌ
وَرَقْصَةُ المَوْتِ في سَاحٍ وَفي عَتَبِ
عُوْدِي رِمَالَ الصَّحَارَى هَلْ رَأَيْتِ أَسًى
ملفَّعًا بِسَوَادِ اللَّيْلِ والشَّجَبِ
هَلاَّ قَذَفْتِ عَلَى السَّاحَاتِ مِنْ عُصَبٍ
مَيْمُونَةٍ وَصَلَتْ مِنْهَا إِلى عُصَبِ
رُدِّي لنا مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ عُمُرٍ
وَمِنْ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ وَعَزْمِ أَبِي
وَمِنْ مُعَاذٍ وَسَعْدٍ وَالأُلَى نَهَضُوْا
لَمَّا دُعُوْا فَأَجَابَتْ نَخْوَةُ النُّجُبِ

« أبـو دُجَانَـةَ » قَدْ شَدَّ العِصَابَـةَ في
رَأْسٍ وَمـدَّ نِصَـالَ المَوْتِ والعطَبِ
وَذَا « عُـمَـيْـرٌ » وقَـدْ أَلْقَـى بِتَمْرَتِهِ
يَـمْضِي إلى جَنَّـةٍ خَضْرَاءَ لَمْ تَغِبِ
رُدِّي لَنَـا صُدُقًـا في الله ... كُلٌّ فَتًى
أغَـرَّ يَـنْشُـبُ مِنْ بَيْضٍ وَمِـنْ يَلَبِ

***

عَرَائِسَ المَجْـدِ ...! عُودِي كُلَّ نَاحِيَةٍ
أَنَّـى التَفَـتِّ صَفَـاءَ الصِّـدْقِ والنَّسَبِ
سيطلـعُ الفَـجْـرُ مَـهْمَا طَالَ مَوْعِدُهُ
عَلَى شُمُـوسٍ مِنَ الآفَـاقِ والسُّحُبِ
يَزِينُ مَـغْنَـاكِ فِيهِ كُلُّ لُؤْلُؤَةٍ
رَجَوْتِهَـا وَعُقُـودُ الدُّرِّ والذَّهَبِ

١٣٩٩/٤/٢١
١٩٧٩/٣/١٩

غرق كثير من المسلمين في المظهر وأضاعوا الجوهر . . . وخارت الهمم والعزائم . . . وضعف الجهاد . . . ونضب العلم والفقه . . .

ضياع

أَرْخُوا هَوَاهُمْ وَمَدُّوا من « مسابِحِهِمْ» وَزَيَّنُوا من مُسُوخِ الكِبْرِ والبَطَرِ
وَتَمْتَمُوا حَلَقَاتِ الذِكْرِ لاهِيَةً نُفُوسُهُمْ وَغَفَوْا في نَاعِمِ السُّرُرِ
وَفَلْسَفُوْا كُلَّ تَقْصِيرٍ وَمَعْصِيَةٍ بِمَنْطِقٍ عَاجِزِ التِبْيَانِ مُحتَقَرِ
لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ بَيِّنَةً إلاَّ رَمَوْهَا عَلَى تِيْهٍ مِنَ الفِكَرِ
ثُمَّ ادَّعُوا نَسَبًا للدِّينِ وَيْحَهُمُ وَشَائِجُ الدِّينِ تَقْوَى القَلْبِ والفِطَرِ
وَهِمَّةٌ نَهَضَتْ للهِ صَادِقَةً وَلَمْ تُوَلِّ العِدَى في الرَّوْعِ مِنْ دُبُرِ
تَمَسَّكَتْ بِكِتَابِ اللهِ وَاعْتَصَمَتْ بِسُنَّةٍ وَمَضَتْ مَتْبُوعَةَ الأَثَرِ

في أحد أعداد مجلَّة « الكتاب » ، قَرأت قطعة نثرية مترجمة عن لغة أجنبية ، وهي ، في بضعة أسطر ، محاورة بين شقيقتين إحداهما تحتضر وخطيبها غائب ، فنقلتها شعراً مع تَصَرُّفٍ في الوصف والحوار والمعاني :

بَين شَقيقَتين

مَاذَا أَقُولُ إِذَا ما عَادَ فِيْ وَلَهٍ
وَطَافَ يَسْأَلُ أَهْلَ الحيٍّ حَيرانَا
تكَادُ أَشْوَاقُهُ تُوْمِيْ بِلَهْفَتِهِ
وَتَفْضَحُ الرَّيْبَ في عَيْنَيْهِ أَحْزَانَا
قُولِي لَهُ: غِبْتُ عَنْ دَارٍ تَئِنُّ بِهَا
شكْوَى وَتَقْتُلُ عُشَّاقًا وَخِلاَّنَا
وَإِنْ أَعَادَ حُمِيًّا من لوَاعِجِهِ
وَحَرَّقَتْ جَفْنَهُ بَلْوَاهُ نيرانا
وَمَاجَ فِي شَفَتَيْهِ الوَجْدُ مرتجفًا
فَحَدِّثِيْهِ حَديثَ الأُخْتِ سَلْوَانَا
وَإِنْ تَسَاءَلَ عَنْ دَارٍ رَحَلْت لَهَا
فَقَدِّمِي خَاتِمَي رَمْزًا وَعُنْوَانَا

وَلاَ تُحِيرِي جَوَابًا ، رُبَّ صامِتَةٍ
أَضْفَتْ عَلَى صَمْتِهَا بِرًّا وإِحْسَانَاً
وَرُبَّمَا وَالأَسَى يُدْمِي جَوَانِحَهُ
والذِّكْرَيَاتُ تُذِيقُ القَلْبَ أَلْوَانَا
يَطُوفُ بَيْنَ حَنَايَا الدَّارِ ، مَا بَرَحَتْ
تُعِيْدُ مِنْ هَمَسَاتِ الأَمْسِ أَلْحَانَا
يَشُقُّ بَيْنَ ظِلاَلِ الحُزْنِ خَطْوَتَهُ
يَلْقَى عَلَى دَرْبِهِ أَيْكًا وَبُسْتَانَا
يَرَى هُنَالِكَ ، أَنَّى طَافَ نَاظِرُهُ ،
خَيَالَكِ الحُلْوَ فَوَّاحًا وَرَيَّانا
حَتَّى تَفِيْضَ مِنَ الأَحْزَانِ دَمْعَتُهُ
وَقَبْلُ كَانَتْ عَلَى الأَهْوَالِ عِصْيَانَا
يَعْشَى بِهَا وَيَطُوفُ الحَيَّ مُلتَمِسًا
عَلَى يَدَيْهِ حَنَايَا الدَّارِ تَحْنَانَا
يَقُولُ مَا بَالُ هَذِي الدَّارِ غَادَرَهَا
نُوْرٌ وأَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ مَا كَانَا
قُوْلِي لَهُ انْطَفَأَ المِصْبَاحُ وابْتَسَمَتْ
كَمَا تَبَسَّمَ يَوْمَ البَيْنِ وَلْهَانَا
تَرَكْتُ مِنْ بَسْمَتِي إِشْرَاقَةً وَصَلَتْ
مَعَ ابْتِسَامَتِهِ أَيَّامَ لُقْيَانَا

سنلتقـــي في جنـــان الخُـلْـدِ مُـشْـرقَـةً
طَهَـــارَةَ الحُـبِّ إِيْـمَانًـــا ورضْوَانَـا

١٩٥٢

في يوم ممطر ، وكان ماضياً إلى بيته ، فرأى فتاة تجتاز الوحول ، فأهوت بينها ، وهمّ لنجدتها . . .

يَوم مُمطِر

هَمَّتْ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَا
فَعَلَ الشِّتَاءُ عَلَى الطَّرِيقِ
وَتَحَفَّزَتْ للوَثْبِ بَيْـ
ـنَ مَزَالِقِ الدَّرْبِ الغَرِيقِ
وَثَنَتْ حَنَايَا ثَوْبِهَا
ثَنْي الرَّفِيْقَةِ للرَّفِيقِ
وَتَكَشَّفَتْ سَاقٌ تَمَوَّجُ
بِالْبَيَاضِ وبِالعَقِيْقِ
خَافَتْ عَلَى الثَّوْبِ المنَمَّـ
ـقِ والأَسى وَمْضُ البُرُوقِ
وَهَفَتْ بِيُمْنَاهَا تَشُدْ
دُ بِهَا عَلَى الصَّدْرِ الخَفُوْقِ

❊ ❊ ❊

قَفَــزَتْ فَلَمّا غَاصَ كَـعْ
باها وَضَــاقَ بِــهَــا المَضِــيُّ
وتَلَجْلَـجَــتْ مَذْعورةً
وكَأَنَّــهُ أَمْــرٌ فَرِيُّ
وَتَلَفَّـتَـتْ جَزَعًــا إِلــيَّ
فَــرَدَّهَــا الخُـلُـقُ الأَبِيُّ
والثَّوْبُ أفلَتَ وارْتَخَى
عَــنْ نَهْدِهَــا كَـفٌّ حَـيِيُّ
والقَـطْـرُ فَـوْقَ الوَجْـنَـتَـ
ـيْـنِ كَأَنَّــهُ دَمْــعٌ عَصِــيُّ

***

نَادَيْتُهَا : « يا أُخْــتُ . . . ! » فانْـ
طَـلَـقَــتْ كأنِّــي ذُو فُضُوْلِ
وَدَنَــوْتُ أُسْعِفُهَــا . . . فأهـ
ـوَتْ وَيْـحَهَــا بَـيْـنَ الوُحُوْلِ
فالســاقُ والــكَفُّ الضَّعِيـفُ
وَفِتْنَــةَ الثَّـوْبِ الجَميلِ
والوَجْنَتَــان وخصلةٌ
سَرَحَتْ عَلَى الخَـدِّ الأَسِيلِ

وَدَنَــوْتُ فَانْطَلَقَــتْ مُـهَرْو
لَــةً تَـجُــرُّ مِنَ الذُّيُول
وَتَلَفَّــتَــتْ . . . ! وَتَــحَــارُ فَــوْ
قَ جُفُونِهَــا حُـمَّــى الذُّهُول

***

وَيكَــادُ يَـفْـضَــحُ جَفْنُهَا
إِسْرَارَةَ العَــذْرَاءِ جَهْرا
وَيكَادُ مَبْسِمُهَــا يَشُــقُّ
عَــنِ الحَيَاءِ رِضًى وَشُكْرَا
وتخلَّف المِنْــديـلُ مِنْ
يَدِهَــا يَفُــوحُ هُنَــاكَ عِطْرَا
عَبَــقَ العفَافِ وَزِيْـنَةً
مِــنْ طُهْرِهَــا لَمْ تُبْــدِ سِرًّا
وَمَضَــتْ وَخَلَّفَــتِ الشَّذَا
يُـحيِي مِنَ الأَخْــلاَقِ ذِكْرَى
هَوَتِ الفَتَــاةُ وَمــا هَوَى
خُلُــقٌ لَهَــا أَوْ فُضَّ سِتْرَا

***

وَمَضَتْ تَرُدُّ عَلَى مُحَيْـ
ياها حِجَابَ الطُّهْرِ رَدّا
تُخْفِي كَمَا شَاءَ التُّقى
مِنْ زِينَةٍ وَتَرُدُّ بُرْدا
وَتَضُمُّ مِنْ أَدَبٍ وَمِنْ
خُلُقٍ وَتَحْفَظُ فِيهِ عَهْدَا
نِعْمَ الحَيَاءُ فَإِنَّهُ
يَهَبُ الجَمَالَ شَذًا وَنَدًّا
هَذِي غِرَاسُ الدِّيْنِ طا
بَتْ بالتُّقَى عُوْدًا وَوَرْدَا
طَابَتْ فَتَاة صَاغَهَا الـ
إسْلامُ إِيْمَانًا وَمَهْدَا
وَرَعَى لَهَا فِطَراً وَخَطْ
طَ لَهَا مِنَ الأَحْلامِ رَغْدا
هِيَ فِي دُرُوبِ الخَيْرِ رِيْـ
حَانٌ يَمُدُّ الخَيْرَ مَدَّا
وَتَصُوْغُ مَعْدِنَهَا النَّقْي
يَ جَوَاهِرًا وَتَصُوغُ عَقْدَا
تَهَبُ الأُمُومَةَ مِنْ وَفَا
ءِ حَنَانِهَا عَزْمًا وَجُهْدَا

عَصَرَتْـهُ مِنْ دَمِهَـا هَوًى
تَـغْـذُو بِهِ الأَجْيَالَ شَهْدَا
وَهَبَـتْ ، وَمَـا بَـخِلَتْ عَلَى
أَبْنَائِهَـا ، قَلْبًـا وكَبْـدَا
ولِزَوْجِهَـا نَشَـرَتْ دُنا
ممـدُودَةً بشْرًا وَسَـعْـدَا
نَفَحَتْـهُ صَفْـوَ البِّـرِّ مِنْ
إيمَانِهَـا شُكْرًا وَحَـمْـدَا
صَانَـتْ لأُمَّتِهَـا الحُـدُو
دَ وَأَوْرَثَـتْ شَرَفًـا وَمَـجْدَا
دَفَعَـتْ عَلَى شَتَّـى مَيَا
دِينِ الجِهَـادِ هُدًى وَجُنْدَا

* * *

١٩٥٥

على جبَل المكبّر في القدس تقوم الكلية العربية - أو دار المعلمين . . . في ساحاتها وبين زهورها قضينا أربع سنين .

هل تُرانا نعود يا دار يومًا

نَـحْـنُ فِي مَنْـزِلٍ رَخِـيٍّ أَطَـلَّـتْ
فَوْقَـهُ الشَّـمْسُ مِنْ ظِلاَلِ السَّحَابِ
وَهَبَتْــهُ مَـعَ الشُّعَــاعِ حِلِيًّا
وَمَـعَ الطَـلِّ زَهْـوَةً مِـنْ شَبَابِ
خُضْرَةٌ تَبْسُـمُ الـزُّهُـورُ عَلَـيْهَا
بَـيْـنَ مَوْجٍ مِنَ الشَّـذَا واضْطِرَابِ
يَفتَـحُ الـوَرْدُ جَفْنَـهُ عَـنْ دَلاَلٍ
فَتَمِـيْـلُ الزُّهُـورُ فِـيْ إِعجابِ
وَثِـمَارٌ عَلَى الغُصُـون . . . وَسَاحٌ
وَظِـلاَلٌ مَـمْـدُودَةٌ مِنْ رِغَابِ
كُلُّ وَادٍ عَلَى الضِّفَـافِ تَلَقَّى
لَفتَـةَ البِيْدِ أَوْ حَنِـيْنَ الرَّوَابِي
أَفْرَغَــتْ شَوْقَـهَـا عَلَيْهِ فَأَغْفَى
فِي ظِلاَلٍ مِنَ الغُصُـونِ الرِّطَابِ

هِيَ كَـفُّ الزَّمَــانِ يَـحْـمِـلُ فِيهَا
مَــا يَشَــاءُ الزَّمَــانُ مِنْ إِخْصَاب

***

وَالمَيَامِــينُ فِي مَدَارِجِــهِ الخُضْـ
ـرِ جِـهَــادٌ وَنَفْـحَـةٌ مِـنْ لُـبَـاب
بَـيْـنَ لَـهْــوٍ ... على بَرَاءَتِــهِ العُـمْـ
ـرُ تَـخَـطَّـى لِوَثْبَــةٍ وَطِلاَب
لا يَرَوْنَ الحَيَاةَ إِلاَّ انْتِهَابَـاً
مِـنْ أَمَــانٍ وَمِــنْ مَعَانِــي كِتَابِ
وَ«كُراتٍ»[1] تَدُورُ فِي الأُفْــقِ حَـيْـرَى
بَـيْـنَ شَوْقٍ مِنَ المُنَــى وَارْتِيَابِ
فَهَـوَتْ مِنْ ضَيَاعِهَــا فِي ذُرَى الأُفْقِ
وَحَنَّــتْ لِـعَـوْدَةٍ وَإِيَــابِ
غُرَفٌ خَـيَّـمَ السُـكُونُ عَلَـيْـهَا
وَنَــواحٍ تَضِجُّ بالطُّلاَّبِ
فَفَــرِيْـقٌ عَلَى جَوَانِــبِ سَاحٍ
وَفَــرِيقٌ عَلَى سُفُــوحِ هِضَابِ

(١) كرة القدم .

رَكِبُـوا الـدَّهْـرَ لَيِّنًـا وتَـمَـنَّوْا
وَيْـحَـهُـمْ أَنْ يَطُـولَ لِيْـنَ الرِّكَابِ
هَلْ تُرَانَـا نَعُـودُ يا دَارُ يَـوْمًا
إِنْ رَحَلْنَـا وَطَـالَ عَنْـكَ غِيَابِي
فَـوْقَ هَذِي المُرُوجِ أَتْـرُكُ قَطْرًا
مِـنْ حَنِـينٍ وَلَهْفَـةً مِنْ شَبَابِي
وَعَلى كُلِّ سَاحَـةٍ ذِكْرَيَـاتٌ
حَـانِيَاتٌ عَلَى أَمَـانِ عِذَابِ
إِنَّ مِنْ حَوْلِنَـا عَدُوًّا لَئِيماً
جَـرَّدَ النَّصْـلَ مِنْ بُطُـونِ القِرَابِ
مَنْ تُرَاهُ يَرُدُّ كَيْدَ يَـهُودٍ
وَانْتِـدَابٍ مُلَفَّـعٍ بِحِـجَابِ

١٩٤٧

مدَاعبات مَع الإخوان

مغرور اعجبتْهُ ضخامة جثته ودفعه غروره وطيشه الى ارتياد أحياء اليهود للعبث والضياع .

غُرور

يا صَاحِبَ الْخُلُقِ الْخَبِيْث ألاَ تَرَى
فِيكَ النَّذَالَةَ رُكِّبَتْ والْعارا
وَتَبِيْتُ مَا بَيْنَ اليهُودِ مُوَاطِنًا
لَيْلاً تَؤُمُّ حِيَاضَهَا وَنَهَارا
والسَّاقِطَاتُ بِهَا أَثَرْنَ بِكَ الهَوَى
فَنُفِضْتَ عَنْ ثَوْبِ الطَّهِيرِ غُبَارَا
ولَقَدْ بَعُدْتَ عَنِ الفَضَائِلِ كُلِّهَا
وَسَقَطْتَ في خُبْثِ الرَّذَائِلِ جارا
إِنْ كَانَ فَخْرُكَ باجْتِمَاعِكَ جُثَّةً
فَالْبُغْلُ بَاتَ أَحَقَّ مِنْكَ فَخَارَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ غَيْرُكَ فَاسِدًا
لَكَفَى المفاسِدَ سَاعِدًا وَمَثَارا
يا ذا ! تَوَقَّفْ عِنْدَ حَدِّك ! لا تَرَى
جُثَثَ الأَنَامِ مَعَزَّةً وَفَخَارَا
فَالدِّينُ والأَخْلاَقُ زِينَةُ صَادِقٍ
والعَقْلُ زَانَهُمَا هُدًى وَوَقَارا

تهنئة في زفاف :

تقسَّمُ يا ربّ أنت الجدود

امَلاَكَ السَّعَادَةِ زُفَّ السَّعَادَة
بِأَمْرِ الإِلَهِ وبَارِكْ عِبَادَهْ
وَبَارِكْ « نُهَاكَ » وأَلْحِقْ مَهَاكَ
بِعُرْسِ الحَيَاةِ وَطِيْبِ الوِفَادَهْ
تُقَسِّمُ يَا رَبِّ ! أَنْتَ الجدُودَ
فَأَحْسِنْ تَقَاسِيمَ هَذِي الرِّفَادَهْ
أَرَى الْبِشْرَ يَرْفُلُ فِي دَارِكُمْ
بِأَبْهَى الحُلَى « ونُهَاكَ » القِلادَهْ
فَأَرْسِلُ بِالْبِشْرِ أَشْوَاقَنَا
مَعَ الطَّيْرِ يُنْشِدُ لَحْنَ السَّعَادَهْ

***

عند عودته ناجحاً مِنَ الامتحان :

حبّذا الكون وهو آية بِشْرٍ

مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِهَذَا الأَمِيرِ
وَسَلاَمًا عَلَى أَخٍ لِي كَبِيرِ
فَانْظُرِ الكَوْنَ حِيْنَ خَفَّ وآيا
تُ الهَنا تَمَّتْ عَنْ غِبْطَةٍ وَحُبُورِ
أَتَرَى الزَّهْرَ وَهْوَ يَرْقُصُ تيهاً
واعْتِزَازًا بِحُبِّهِ المَنْصُورِ
أَمْ تَرَى الطَّيْرَ وَهُوَ يَشْدُو عَلَى الأغـ
صَانِ لَماَّ تَمَايَلَتْ في سُرُورِ
مَنْ يَعِيْبُ الطَّاوُوس حِيْنَ تَهَادَى
يَتَبَاهى بِحُسْنِهِ المَنْظُورِ
حَبَّذَا الكَوْنُ وَهْوَ آيَةُ بِشْرٍ
كُلُّ ما فِيْهِ طَلْعَةٌ مِنْ بَشِيْرِ

❊ ❊ ❊

وإلى صديق أعجبته صورتـه فكان يريهـا لأصحابـه ويضعها في جيبه دائماً معجباً بها .

صـــورَة

طَافَ بِالنَّـــاسِ يُرِيْـهِـمْ صُـــوْرَةَ القِــرْدِ وَعَيْبهْ
وَيُعِيْدُ الـــذِّكْرَ مِنْـهُ كُـلَّـمَاَ حَنَّ لِتُـرْبِـهْ
هل سَمِعْتُــمْ أَنَّ قِرْدًا حَـمَـلَ القِــرْدَ بِـجَيْبِهْ
نَالَـــتِ الأَلْسُـــنُ مِنْهُ وَمَشَى السُّوءُ بِجَنْبِـهْ
خَشِيَ العَـــارَ فَصَلَّ لَيْسَ إِجْــلاَلاً لِرَبِّهْ
عَبَــدَ اللهَ وَلَكِنْ كَانَ إِبْلِيسُ بِقَلْبِهْ
يَدْأَبُ الشَّيْطَــانُ حَتَّى يُوقِــعَ العَـبْـدَ بِدَأْبِـهْ

١٩٤٤

مُدَاعبة مع صَدِيقٍ خُوِّل سلطة فجارَ :

وإذا الذيب سامها

خَوَّلــوا العبـد سلطـة   أَيهُّــا العبــدَ لا تَـجُرْ
حســب العبْـدِ أَنَّهُ   مَلَكَ الجـنَّ والبَـشَـرْ
وإذَا النَّفْسُ ما خلت   تمــلأ النِّفس بالكِبَرْ
صَعِــدَ العَبْـدُ وَارْتَقَى   وَهَــوَى الحــر وانْـحَدَرْ
يَـعْتَلِي البَـحْـرَ جِيْفَـةً   إنمــا قَعْــرُهُ الـدُّرَرْ
قد سرى الذئــب بينكــم   فَخُذُوا جانــب الحــذَرْ
يصلــحُ القَــوْمُ عندمَا   يحــكم القَـومَ ذُو الخِـبَــرْ
وإذَا الذئـــب سامنـا   أَيُّ شاةٍ بِلاَ خَـطَـرْ

١٩٤٤

صديق عزيز . . . كتب له أحد إخوانه أبياتاً من الشعر وضعها في لوحة رسم عليها عقداً من الجواهر . يَضُمُّ أسماء العائلة . وكان الأولاد يوم ذاك ستَّة . ثم أصبحوا تسعة أولاد مباركين إن شاء الله . . . فأتممت له الشعر السابق بهذه الأبيات حتى تكمل اللوحة ويَكْمُلَ العقد .

عِقْد

وَهَبَ الإلَهُ وكُلُّ نُعْمَى آيَةٌ
صَدَقَتْ وكُلُّ فَضِيْلَةٍ لا تُنْكَرُ

فَإِذَا « بِسَائِدَةٍ » يَفُوحُ شَذَى التُّقَى
مِنْهَا ويَأْتَلِقُ السَّنَاءُ وَيُنْشَرُ

و « إيَادُ » صَحَّ الأيْدُ مِنْ عَزَمَاتِهِ
وَزَكَتْ شَمَائِلُهُ وَطَابَ الجَوْهَرُ

يَمْضُونَ يَسْتَبِقُ المَطَالِعَ « رائِدٌ »
لِلبُشْرَيَاتِ وَعَزْمُهُ مُتَفَجِّرُ

فَإِذَا هُمُ تِسْعٌ يُنَظِّمُ عِقْدَهُمْ
صَفْوُ الوِدَادِ وَذِمَّةٌ لا تُخْفَرُ

٢/١١/١٣٩٧
١٢/١١/١٩٧٧

وعلى مائدة طيبة جمعتنا ، وأصناف من الطعام شهية . . .

قلت :

وبَعْد ذاك افتراقُ

أنْـتَ يا « سَعْـدُ » قَدْ مَلأْتَ بُطُونًا
وَغَمَرْتَ النُّفُـوسَ بِشْرًا وَسَعْدا
حِيْـنَ ضَمَّ الصِّحَـابَ مَائِـدَةُ كُـبْـ
رَى ، وَدَارَتْ عَلَى شِفَاهِـيَ شَهْدَا
كُلُّ « مَحْشِيَّةٍ » تَحَـرَّكَ وَجْدًا
وَدَلاَلاً إلى فِمـي لَنْ تُرَدَّا
وَفِـراخٌ تَطِـيرُ مِنْ صَحْنِهَـا الوا
سِـعِ تَسْعَـى إلى البُطُـونِ وَتَهْدَا
إِيهِ يا « كُبَّـةٌ » تُمزِّقُهَـا الأَ
ضْرَاسُ كَيْدًا مِنْ حُسْنِهَـا أَوْ حِقْدَا
هَا هُوَ اللحـمُ مَا تَشَـاءُ فَهَيَّا
لِغَـرَامٍ وَدَعْ لِغَـيرِكَ هِنْدَا
هَلْ رَأَيْتَ الصِّحَـابَ سَالَـتْ لُعَابًا
كُلُّ فَرْدٍ هُنَـاكَ شَمَّـرَ زِنْـدَا

وأيَادٍ تشَابَكَتْ فَوْقَ صَحْنٍ
مزَّقَتْهُ الأَهْوَاءُ شَدًّا ومدًّا
وَسَكَاكِينُ جُرِّدَتْ وانْطِلاَقٌ
وَعُيُونٌ مُحَمْلِقَاتٌ تَحَدَّى
إنَّ « عبد العليم » ضَاعَ لَدَيْهَا
وَشَكَا وَجْدَهُ إليَّ وأبْدَى
و « بشيرٌ » تَرَاهُ يَمْلأُ فَاهُ
فَأَضَاعَ النُّهَى ، وَضَيَّعَ رُشْدَا
لاَ تَخَفْ « سَعْدُ » إنْ تَرَكْنَاكَ فَرْدًا
بَعْدَ نَسْفِ الطَّعَامِ تَفْرُكُ جِلْدَا
أيُّ ضَرْبٍ يَنْهَالُ فَوْقَكَ مَحْمُومًا
وَيَلْوِي أضْلاَعَكُمْ ... ! فَاسْتَعِدًّا

***

هكَذَا نَلْتَقِي على « مَائدات »
مِنْ طَعَامٍ وَبَعْدَ ذَاكَ افْتِرَاقُ
هَا هُنَا صُحْبَةٌ وَحُسْنُ وَدَادٍ
وَمَعَ العُمْرِ فِتْنَةٌ وَشِقَاقُ
فَجِهَادٌ عَلَى الطَّعَامِ شَدِيدٌ
وَهَوَانٌ مَعَ العِدَى لا يُطَاقُ

١٩٦٣

دعانا أصدقاء إلى منتزه ، فلما حضرت الخمـرة انسحبـت ، وكان معنا صديق وددتُ لو انسحب معي . . . فقلت :

أفـْرَغَ الكـأس

إنَّ « هذا الصَّـدِيق » ضُلِّلَ أمس
أَفْـرَغَ الـكأْسَ حِـينَ حَطَّمْـتُ كَأْسِي
سَـحَـرَتْـهُ مَـجَـالِسُ اللَّـهْـو لَـمَّا
دَارَت الخَـمْــرُ . . . ! ضَيَّعَـتْ كُلَّ رأْس
أيُّ صَـحْــب دَعَــوْكَ للسُّـوءِ لَيْلاً
يَتَخفَّوْن مِنْ عُيُونٍ وَهَـجْس
ظَنَّ أنَّ الظَّــلاَمَ يَـطْـوِي غوَايا
تٍ وَلاَ يَنْشُرُ الحـدِيْثَ بِهَـمْسِ

✻✻✻

تَسْرَحُ العَـيْـنُ وَهْـيَ تَبْـحَــثُ عَنْ نَشْـ
وتِهَا فِي صَبَابَــةٍ وَتَـحَـسِّي
وَعَلَيْهَــا مِنَ الضَّــلاَل سَحَابَا
تٌ وَأَمْـوَاجُ لَـهْوِهَــا فَيْضُ رِجْسِ
نَظَـرَاتٌ تَغِيبُ بَـيْـنَ عُبَاب
وَعَلى شَاطِــىءِ الأَمَانِيِّ تُرْسِي

وَطَـوَتْ مِنْ حَيَائِهَـا وَتَـخَلَّتْ
عَـنْ وَقَـار . . . ! وَقِيْلَ مَـجْلِسُ أُنْس

❊ ❊ ❊

لَمْ تَعُـدْ للإلـه « عَبْـدًا » تَقِيًّا
صِرْتَ عَبْـدًا لِكُلِّ فِسْـق وَبُؤْس
كَانَ ظَنِّـي بأَنَّ « سَعْـدًا » دَعَاكُمْ
فَـإِذَا بالَّـذِي دَعَـا وَجْـهُ نَـجْس
وإِذَا « بالبشـير » ضَيَّعَ آمَا
لاً و « فَرْحاتِنـا » تَصِيْرُ لِتَعْس
و « السَّـلِيْمُ » الـذي عَرَفْـتَ عَلِيْلٌ
ضَاعَ « صَحْـبٌ » وَمَا دَرَى . . ! وَيْحَ نَفْسِي

❊ ❊ ❊

إلى صديق جمعتنا مائِدَة أَلْهَتْنَا عن بعض الدراسات والأعمال :

تفرقت كشتات العمر ضائعةً

وكيف تَذْكُرُ أَوْراقًا وَقَدْ عُرِضَتْ
أَمَامَ عَيْنَيْك أَشْكَالٌ وأَلْوَانُ
نَماذجٌ مِنْ طَعَام الشَّرق قَدْ نُظِمَتْ
كأَنَّهَا زَهَرٌ يَحْويهِ بُسْتَانُ
مِنْ « كُبَّةٍ » حُلْوَةٍ لاَنَتْ عَلَى شَفَةٍ
كَمَا يَلِينُ على عُشّاقِهِ البانُ
يكَادُ يَقْفِزُ لحْمُ الطَيرْ مُنْطَلِقًا
كَأَنَّما رُكِّبَتْ للّحْم جُنْحَانُ
وَفَرْخَةٍ لاَ يكَادُ الصَّحْنُ يَحْمِلُهَا
حَتَّى تَطِيرَ وَيَلْقَى الطَّيْرَ أَغْصَانُ
وَ« حُمُّصٍ » سالَ فيهِ « الزَّيْتُ » إذْ غَرقَتْ
فيه اللحوم فأنْجَى اللحْمَ ربَّانُ
أَوْ أَنَّهُ السَّهْل شُقَّتْ دُوْنَهُ سُبُلٌ
وَحَوَّمَتْ في نَوَاحِي السَّهْل عُقْبَانُ

عَزَائِـــمٌ فِي مجــال الأَكْل صَادِقَةٌ
وفي سِوَاهُ فَتَــزْوِيرٌ وَبُـهْتَـانُ
هَوًى يُـجَـمِّعُهَــا حِينًــا ، وَيَصرْفُـهَا
حِيْنًــا ولَيْسَ لَهَــا فِي الــرَّوْع مَيْدَانُ
تَفَرَّقَــتْ كَشتَتَــات العُـمْــر ضَائِعَةً
وَضَــاعَ بَـيْـنَ حُـمَـيَّا اللَّـهْــوِ أَوْطَانُ

مرض طالب أثناء دراسته واستعداده للامتحان .

ومن صدق العزم في أمره

تَوَانَيْتَ إِذْ رَنَّ صَوْتُ المَعَالِي
يَهِيبُ بِمَنْ نَامَ أَوْ مَنْ رَقَد
فَزُجَّ الصُّفُوفَ وَضَعْ هَالَةً
مِنَ العِزِّ يَبْقَى فَخَارَ الأَبَدْ
وَمَنْ صَدَقَ العَزْمَ في أَمْرِهِ
فَلَيْسَ يَفُلُّ العَزِيمَةَ حَدْ
أَحَقًّا يَسِيرُ بِهَذِي العُرُوق
وَيَمْشِي العَنَاءُ بِهَذَا الجَسَدْ
إِذَا هَاجَمَتْكَ عَوَادِي الزَّمَان
وَسُلَّ عَلَيْكَ حُسَامُ الحَسَدْ
فَعُذْ بالإِلَهِ فَفِيهِ الرَّجَاءُ
وَمِنْهُ الشِّفَاءُ ! إِلَهٌ صَمَدْ

***

أبيات قدمتها إلى إبن عمِّي حين أهديته نسخة من ديوان « الأرض المباركة » .

إهْداء

يا ابْنَ عَمِّي . . . ! إلَيْكَ أُهْدِي كِتَابي
حَمَلَتْهُ أيْدِي الوَفَا والحَنَانِ
رَحِمٌ بَيْنَنَا يُوَثِّقُهُ اللـ
ـهُ وَيَحْمِيهِ مِنْ عَوَادِي الزَّمَانِ
رَحِمَ الله مِنْ أبِيكَ خلالاً
زَيَّنَتْهَا شَجَاعَةُ الفِتْيَانِ
والمُرُوءَاتُ في مُحَيَّاهُ عَزْمٌ
نَضَّرَتْهَا بَشَاشَةُ الإيْمَانِ
أنْبَتَتْهَا مِنَ الجُدُودِ غِرَاسٌ
وَسَقَوْهَا مِنْ نَبْعَةِ الإيْمَانِ
يا « أبا ظافرٍ » عَلَيْكَ سَلاَمٌ
رَفَّ مِنْهُ النَّدَى عَلَى رَيْحَانِ
أنْتَ أنْجَبْتَ «ظافِرًا» و«بَهَاءً»
وَتَوَلَّى « بَشَّارُ » صِدْقَ البَيَانِ

وَإِذَا « النُّـورُ » بَيْنَهُـمْ يَتَلالى
وإِذَا « السعـد » مُقْبَـلٌ بالامانِـي
والقَـوَارِيْرُ والحِسَـانُ الصَّبَـايَا
يَتَلَفَّـعْـنَ بالتُّـقَـى والأَمَـان

١/ ٤/ ١٣٩٨

٩/ ٣/ ١٩٧٨

فهرس القصائد

المكتب الإسلامي
للطباعة والنشر